كان ، وكاد ، واستعمالاتهما في القرآن الكريم

دراسة تحليلية لبعض أدوات المفسر

دكتور/سيد زكي خليل إبراهيم

مقدمة :-

الحمد لله خلق الإنسان، علمه البيان، فكان بذلك ذلق اللسان وأصبح يعرب عما في نفسه من غير عجز ولا نسيان، وصار بعد أن أقدره الله تعالى مفصحا عما في الجنان، فينبغي عليه شكر هذه النعمة للعليم المنان، ويلهث بذكره تسبيحا وتعظيما باللسان، مقرا بالجنان إذ من أجل ذلك كانت مضغة القلب وآلة اللسان.

والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للأنام، بكلام هو أصدق كلام، بتمام الكمال والإنعام، وسهل حفظه وجعله في متناول الأفهام، مع عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله ولو من وجه من وجوه التمام، وذلك لأنه صفة من صفات العزيز العلام، قد من على العالمين به رحمة منه على استدامة الإسلام، وعلى آله الكرام، وأصحابه قادة الأنام، وأتباعه الأعلام.

أما بعد :

فهذا بحث في دراسة بعض الكلمات التي كثر دورانها في كتاب الله تعالى، وقد استعملت استعمالات متعددة قد حيرت كثير من المفسرين في تخريجها وتوجيهها، مع المعنى الموضوعة له.

وذلك بسبب أن بعض الألفاظ أو الكلمات متوافقة في معان عدة، أبرزها وأظهرها السوق الذي جاءت فيه، وهو ما يسمى بالألفاظ المتواطئة [1]، وهو غالب ألفاظ اللسان العربي الذي نزل به القرآن الكريم.

ولذا كانت الألفاظ قليلة والمعاني كثيرة، والنظم القرآني جعل هذه المعاني غير متناهية، وهو النظام الذي مشى عليه في تركيب جمل آيه، إذ هو فريد لا نظير له في نظامه، بديع لا مثيل له في إيجازه وإعجازه.

ومن جملة هذه الألفاظ أو الكلمات ـ كان ـ و ـ كاد ـ ، فهما يشتملان على أحكام كثيرة، من جهة عملهما ومعانيهما واستعمالاتهما وإن ـ كان ـ لفظ ـ كان ـ أكثر دورانا في آيات القرآن من ـ كاد ـ ، ومن ثمت كثر استعمالها، وكثر اختلاف أهل التفسير في تخريجها وتوجيهها فاحتيج كل من هذين اللفظين، ومما من أدوات المفسر إلى جمع المتفرق، وضم المتفق، وتقريب المختلف، والله أسأل أن ييسر ويعين، وهو بالإجابة جدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيد :

إن دراسة معاني الألفاظ واستعمالاتها في أي القرآن الكريم من أعظم مهمات المفسر، لا سيما ما يتعلق بما يسمى بأدوات المفسر، فهذه الأدوات لها تأثير كبير في توجيه جمل آيات القرآن وقد يكثر مجئ بعض هذه الألفاظ في الجمل بسبب موضوعها الواسع الدلالة.

ولقد جاء لفظ ـ كان ـ بكثرة في آيات القرآن، إذ قد بلغ عددها أكثر من ألف وخمسمائة مرة، وعدها الزركشي من الألفاظ التي يكثر دورانها في القرآن العظيم [٢]، وكذلك لفظ ـ كاد ـ لكنه أقل.

فاللفظ أو الكلمة الأولى ـ كان ـ قد حير استعمالها كثير من المفسرين كما في قوله (وكان الله غفورا رحيما) وقوله (وكان من الكافرين) وقوله (من كان في المهد صبيا) وغير ذلك من النصوص القرآنية التي جاء فيها لفظ ـ كان ـ واختلف في تخريجها استعمالا .

ومثل ذلك لفظ ـ كاد ـ ، كما في قوله (وما كادوا يفعلون) وقوله (لم يكد يراها) وقوله (كذلك كدنا ليوسف) ، والأول بسبب سعة دلالة كينونته، والثاني بسبب سعة دلالة قرب كينونته، لكنه أقل من الأول.

وقد تقرر عند علماء أصول اللغة أن اللفظ يكون موضوعا لمعنى، وقد يستعمل لمعان أخرى، ومعونة السياق هو الذي يبرز هذه المعاني مضافة إلى المعنى الموضوع له، وبذلك يتسع المعنى للنصوص.

لذا حاولت عن طريق هذا البحث في جمع ما يتعلق بهذين اللفظين من جهة الاستعمال، وعلاقته بالمعنى الموضوع له كل منهما.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد شرحت فيه أهميته وغايته واحتياج المفسر لمعرفة حقيقة وعمل واستعمال هذين اللفظين.

وقد شرعت بدراسة لفظ -كان- واستعمالاتها بذكر معناها الموضوعة له عند أهل اللغة، ثم ذكر عملها الصناعي الإعرابي عند علماء النحو، ومعانيها عند أهل المعاني، وهو تابع للعمل الصناعي، ثم ذكر استعمالاتها عند أهل التفسير، لأنهم هم الذين ينظرون بنظرة أوسع للفظ في سياقه.

وقد ذكرت في نهاية ذلك علاقة المعنى الموضوع له اللفظ واستعمالاته، ببيان كمال وجمال النظم القرآني، ثم ذكرت لفظ -كاد- ،ببيان معناها الموضوعة له عند أهل اللغة، ثم عملها الإعرابي عند النحاة، ومعانيها عند علماء المعاني، وعلماء الوجوه والنظائر، ثم ذكرت استعمالاتها عند علماء التفسير، وبيان سعة الدلالة بمعونة السياق، وكمال وجمال النظم.

ثم ختمت البحث بخاتمة وذكرت فيها ما توصل إليه من جديد في استعمالات هذين اللفظين، وتعلق هذه الاستعمالات بالمعنى الموضوع له اللفظ .

وأسأل الله أن ينفع به ومن بلغ، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد، والحمد لله في الأولى والآخرة.

كان : عند اللغويين :

كان من الأفعال التي يذكرها أهل اللغة لبيان موضوعها، ويذكرها النحاة والمعربون لبيان عملها، ويذكرها أهل المعاني لبيان معانيها الواردة عليها بمعونة السياق.

فكان أصلها كون، مثل : قال أصلها قول بفتح الأول والثاني، فأبدلت الواو ألفا تخفيفا، وهو مصدر كون بفتح فسكون، والكون واحد الأكوان، يقال: كان كونا وكينونة [٣]. والمكانة المنزلة ، والمكان والمكانة الموضع، ومنه قوله تعالى (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) [٤]، والتكون مطاوع التكوين [٥]، قيل : والمكان أصله من كان يكون، فلما كثر في كلامهم توهمت الميم أصلية، فقيل: تمكن، كما قيل في المسكين تمسكن [٦].

قال صاحب القاموس : وكان عليه كونا وكيانا، واكتان تكفل به والمصدر الكون والكيان والكينونة، وكناهم، أي : كنالهم، والكوني الكبير العمر [٧].

والكينونة الحدث، والكائنة الحادثة، وكونه أحدثه، وكون الله الأشياء : أوجدها [٨].

وقال ابن منظور في كون : الكون الحدث، وقد كان كونا وكينونة وعن اللحياني: والكينونة في مصدر كان يكون أحسن.

قال : والكائنة الحادثة، وكونه فتكون أحدثه فحدث، والله مكون الأشياء يخرجها من العدم إلى الوجود، والمكان الموضع، والجمع أمكنة وأماكن، توهموا الميم أصلا حتى قالوا : تمكن في المكان، وقيل : الميم في المكان أصل، كأنه من التمكن دون الكون.

ثم قال : وكان تأتي باسم وخبر، وتأتي باسم واحد، وهو خبرها كقولك: كان الأمر، وكانت القصة، أي : وقع الأمر، ووقعت القصة، وهذه تسمى التامة المكتفية.

وقال : قال ابن الأثير: الكون مصدر كان التامة، يقال: كان يكون كونا، أي: وجد واستقر.

وكان إذا جعلته عبارة عما مضى من الزمان احتاج إلى خبر، لأنه دل على الزمان فقط، تقول : كان زيد عالما، وإذا جعلته عبارة عن حدوث الشئ ووقوعه استغنى عن الخبر، لأنه دل على معنى وزمان. تقول: كان الأمر، وأنا أعرفه مذ كان، أي : مذ خلق [٩].

وقال ابن منصور : الكون الحدث يكون من الناس، وقد يكون مصدرا من كان يكون، ومنه قوله : (نعوذ بالله من الحور بعد الكون، أي : نعوذ بالله من رجوع بعد أن كان، ومن نقص بعد كون).

قال : والكائنة: الأمر الحادث، والكينونة في مصدر كان يكون أحسن[١٠].

وقال الزبيدي : والمصدر الكون والكيان، وتقول هو كائن ومكون. كما تقول: ضارب ومضروب، وكنت الغزل كنونا، والكوني وهو الكبير العمر.

والكنتيون هم الشيوخ الذين يقولون : كنا كذا وكان كذا وكنت كذا[١١].

وقال الزمخشري : كون كانت الكائنة، والكوائن، وأخبرني بالكائن عندك وكون الله العالم: أحدثه فتكون[١٢].

كان : عند النحاة المعربين :

اهتم النحاة والمعربون بالفعل (كان) وذلك من جهة عملها، ولذا جعلوه في باب : الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر، وسماها بعضهم بالأفعال الناسخة، وهي التي تدخل على المبتدأ والخبر فتنسخ حكمهما، بأن ترفع الأول وتنصب الثاني. فترفع المبتدأ تشبيها بالفاعل، ويسمى اسمها حقيقة وفاعلها مجازا، وتنصب الخبر تشبيها بالمفعول، ويسمى خبرها حقيقة ومفعولها مجازا، لأنها أشبهت الفعل التام المتعدي لواحد كـ (ضرب زيد عمرا).

وقيل : إنها لا تعمل في المرفوع شيئا، وإنما هو مرفوع بما كان مرفوعا به قبل دخولها، ونصب الخبر فيها تشبيها بالحال، لأنها شبيهة بـ(قام) قيل: هو منصوب على الحال حقيقة[١٣].

ويقول ابن هشام : كان ترفع الاسم وتنصب الخبر، تقول : كان زيد قائما فزيد رفع بكان، وقائما خبر كان[١٤].

فجعل المبتدأ في الأصل اسما لكان، وجعل المنصوب خبرا لها، وهذا الحكم في سائر الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار.

ورفع الاسم إنما على سبيل التجدد، لأنه مرفوع قبل كان بعامل معنوي وتجدد له رفع آخر بها، فرفعه بها غير الرفع الأول، لأن تسميته مبتدأ إنما هو باعتبار حاله قبل دخول الناسخ.

فهذه الأفعال إن كانت خبرية، فهي بذلك صفة لمصدر خبرها في الحقيقة، إذ معنى (كان زيد قائما) لزيد قيام له حصول في الزمن الماضي وأصبح زيد قائما، لزيد قيام له حصول في الزمن الماضي وقت الصبح [١٥]، ولذا قيل : إن كان أم الباب، لزيادتها بأحكام، وكانت أم الباب، لأن الكون الذي هو مادتها يعم جميع مدلولات سائر الأفعال الناسخة، ولأن أحداث أخوات ـ كان ـ داخلة تحت حدثها، ولها من التصرفات ما ليس لغيرها [١٦].

وقال ابن يعيش : كان من الأفعال العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر ومجراها في ذلك مجرى : ظننت وأخواتها، في كونها من عوامل المبتدأ والخبر، غير أن : ظننت وأخواتها أفعال قلوب تفيد اليقين أو الشك في الخبر، وكان تفيد زمان وجود الخبر.

فقد اشتركا في دخولهما على المبتدأ والخبر وتعلقهما بالخبر [١٧].

قال : وتسمى أفعالا ناقصة، وأفعال عبارة، فأما كونها أفعالا فلتصرفها بالماضي والمضارع والأمر والنهي والفاعل، نحو قولك: كان يكون كن لا تكن وهو كائن، وأما كونها ناقصة، فإن الفعل الحقيقي يدل على معنى وزمان. نحو قولك: ضرب، فإنه يدل على معنى من الزمان وعلى معنى الضرب، وكان ـ إنما تدل على زمان فقط، ويكون ـ تدل على ما أنت فيه، أو على ما يأتي من الزمان، فهي تدل على زمان فقط، فلما نقصت دلالتها كانت ناقصة. وقيل : أفعال عبارة أي: هي أفعال لفظية لا حقيقية، لأن الفعل ما دل على حدث، والحدث الفعل الحقيقي، فكأنه سمى باسم مدلوله، فلما كانت (كان) لا تدل على حدث لم تكن فعلا من جهة اللفظ والتصرف، فلذلك قيل: أفعال عبارة، إلا أنها لما دخلت على المبتدأ والخبر وأفادت الزمان في الخبر صار الخبر كالعوض من الحدث، فلذلك لا تتم الفائدة بمرفوعها حتى تأتي بالمنصوب [١٨].

ويقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر: فالأول من العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر كان وأخواتها، دخلت على المبتدأ والخبر فرفعت المبتدأ ، كما يرفع سائر الأفعال الأسماء، وذلك أن الشرط في الفاعل أن يسند إليه الفعل مقدما عليه، وقد حصل ذلك في اسم كان، ونصبت الخبر على التشبيه بالمفعول، نحو : ضرب زيد عمرا، وليس بمنزلة المفعول على الحقيقة.

ألا ترى أن عمرا غير زيد، وقائم هو زيد، في قولك: كان زيد قائما.

ثم قال : وهي أفعال غير حقيقية، ومعنى ذلك أنها سلبت الدلالة على الحدث، وإنما تدل على الزمان فقط.

فإذا قلت : كان زيد قائما، كان بمنزلة قولك : قام زيد في أنه يدل على قيام في زمان ماضي.

ثم علل بوجوب وجود الخبر لهذا الفعل عوضا عن سلب الحدث منه فقال: فلما سلبت هذه الأفعال الدلالة على الحدث عوضت الخبر، فلم يسكت على فاعلها، لو قلت : كان زيد، لم يجز حتى تأتي بالخبر فتقول: منطلقا أو قائما، يريد : كان زيد منطلقا أو قائما، وكذا تقول: يكون زيد منطلقا ، وسيكون زيد منطلقا، لأن كان ويكون يدل على الزمان فقط، فلا تحصل الفائدة إلا بعد الإتيان بالخبر كما أنك لو قلت : زيد فيما مضى، لم يكن كلاما حتى تأتي بخبر، فتقول: زيد أخوك فيما مضى، وكذا لو قلت : زيد فيما يستقبل، لم يجز حتى تقول : منطلق أو خارج [١٩]. وعلل الإمام السهيلي على إعمال كان برفع الاسم ونصب الخبر فقال: وإنما ـ كان ـ أصلها أن ترفع فاعلا واحدا، نحو : كان الأمر، أي حدث، فلما خلعوا منها معنى الحدث ولم يبق فيها إلا معنى الزمان، ثم أرادوا أن يخبروا بها عن الحدث الذي هو: زيد قائم، أي : إن زمان هذا الحدث ماضي أو مستقبل أعملوها في الجملة ليظهر تشبها بها، ولا يتوهم انقطاعها عنها لأن الجملة قائمة بنفسها، و ـ كان ـ كلمة قد يوقف عليها أو تكون خبرا عما قبلها فكان عملها في الجملة دليلا على تشابهها بها، وأنها خبر عن هذا الحديث.

قال : ولم تكن لتنصب الاسمين، لأن أصلها أن ترفع ما بعدها، ولم تكن لترفعهما معا فلا يظهر عملها، فلذلك رفعت أحدهما ونصبت الآخر [٢٠].

وقال في موضع آخر في قوله تعالى (قل إن كانت لكم الدار الآخرة) [٢١] : وليست : إن ههنا مع ـ كان ـ من صيغ العموم، لأن ـ كان ـ ليست بدالة على الحدث وإنما هي داخلة على المبتدأ أو الخبر عبارة عن مضى الزمان الذي كان فيه ذلك الحدث [٢٢].

ثم قال في موضع آخر : لأن كان ليست بفعل محض، فجاز أن تقول: كان زيد قائم، أي : كان هذا الحديث [٢٣].

وقوله : ليست بفعل محض، لأنه كما تقدم أنها تدل على الزمان دون الحدث، بخلاف الفعل في غيرها، فإنه يدل على الحدث والزمن الذي وقع فيه.

ويقول الإمام السيوطي : قال ابن باشاذ (كان) أم الأفعال ـ يريد الأفعال الناقصة ـ لأن كل شئ داخل تحت الكون، لا ينفك شئ من معناها، ومن ثم صرفوها تصرفا ليس لغيرها.

ثم قال معللا كونها أم الباب : إنما كانت ـ كان ـ أم هذه الأفعال لخمسة أوجه :أحدها : سعة أقسامها، والثاني أن كان التامة دالة على الكون، وكل أو إحدى أخواتها شئ داخل تحت الكون، والثالث أن كان دالة على مطلق الزمان الماضي، ويكون دالة على مطلق الزمان المستقبل، بخلاف غيرها فإنها تدل على زمان مخصوص كالصباح والمساء، والرابع أنها أكثر في كلامهم، ولهذا حذفوا منها النون في قولهم : لم يك. والخامس أن بقية أخواتها تصلح أن تقع إخبارا لها، كقولك: كان زيد أصبح منطلقا، ولا يحسن أصبح زيد كان منطلقا [٢٤].

ودخول هذا الفعل ـ كان ـ أو إحدى أخواتها على المبتدأ والخبر على خلاف القياس، لأن الأفعال حقها أن تنسب معانيها إلى المفردات لا إلى الجمل، فإن ذلك للحروف، ولكنهم توسعوا فيها ونسبوا معانيها إلى الجمل، ورفعوا بها ونصبوا، وكان القياس أن لا تعمل، لأنها ليست بأفعال حقيقة.

لما جئ بـ كان ـ لتقرير المبتدأ على صفة ، وهي الخبر أعملوها في الجزئين [٢٥].

ولأن ـ كان ـ ليست دالة على الحدث حقيقة جوز جمهور النحاة رفع الاسمين بعدها، وأنكره الفراء، ورد بالسماع، وتوجيه رفع الجزئين إن في ـ كان ـ ضمير الشأن اسمها، والجملة في موضع نصب على الخبر [٢٦].

وأيا ما كان فالأصل في ـ كان ـ أن لا تدل على استمرار ولا انقطاع من حيث هي، بل ذلك راجع إلى القرينة [٢٧]، فهي كينونة مجردة عن الزمان، ولذا تستعمل لوصف لازم للشئ، قليل الانفكاك عنه، وذلك نحو قوله تعالى (وكان الإنسان كفورا) [٢٨] وقوله (وكان الشيطان لربه كفورا) [٢٩].

وهي من جملة الأدوات لدخولها على المبتدأ والخبر فيصبح الأول اسمها والثاني خبرها [٣٠]، وهو وجه تسميتها ناقصة.

كان : عند أهل المعاني :ـ

أهل المعاني هم الذين يعنون بمعاني الألفاظ ومدلولاتها، والنظر في معاني اللفظ الواحد، والذي غالبا ما يكون من الألفاظ المتواطئة وأهل التفسير كذلك، بل هم أوسع

منهم بحثا في معاني الألفاظ لأنهم ينظرون إلى السياق من جميع وجوهه، إذ السياق هو الذي يحدد أو يظهر هذه المعاني.

ومن جملة هذه الألفاظ الفعل (كان) ، فإنهم قد أوردوا له معان عدة، لاختلاف السوق الذي وردت فيه، وإن كان يمكن إرجاع كل تلك المعاني إلى معنى الأصل، أو أن المعنى الأصل لا يفارقها في معنى من هذه المعاني، إذ قد تكون الكلمة موضوعة لمعنى وتستعمل لمعنى آخر. فقد ذكر الدامغاني في الوجوه والنظائر في مادة : كون ، أن (كان) الموضوعة للدلالة على مجرد الزمن الماضي.

ترد على خمسة أوجه : ـ

فوجه منها : كان بمعنى ينبغي، كما في قوله تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباد لي من دون الله) [٣١].

ومنه قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا) [٣٢] أي: ما ينبغي.ومنه المضارع، كما في قوله تعالى (قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) [٣٣] أي ما ينبغي.

الثاني : كان صلة في الكلام ـ ويريد بالصلة هنا أنها زائدة في الجملة ـ وذلك كما في قوله تعالى (وكان الله عليما حكيما) [٣٤] أي : والله عليم حكيم، قال : ومثله كثير.

الثالث : كان بمعنى هو ، كما في قوله تعالى (كيف نكلم من كان في المهد صبيا) [٣٥].

الرابع : كان يفيد التفسير، كما في قوله تعالى (وكان الله على كل شئ قديرا) [٣٦]. يقول : والله على كل شئ قدير، ومن هذا المعنى قوله تعالى (إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) [٣٧].

الخامس : كان بمعنى صار ، كما في قوله تعالى (وكان من الكافرين) [٣٨] يعني صار، ومنه قوله تعالى (وفتحت السماء فكانت أبوابا) [٣٩] يعني فصارت، ومثال المضارع قوله تعالى (يوم تكون السماء كالمهل، وتكون الجبال كالعهن) [٤٠] يعني تصير [٤١].

فهذه معان أوردها في الفعل ـ كان ـ ولم يذكر ورودها على أصلها من الكون ناقصة وتامة، وقد ذكرهما غيره، وذلك مثل الإمام ابن الجوزي في نزهة الأعين النواظر

قال : كان فعل ماضي في قولك : كان يكون كونا فهو كائن ، ومعناه في الأصل: وقع ووجد، فإذا أريد بهذا الذات كانت تامة لا تفتقر إلى خبر، تقول من ذلك: كان الليل، أي : وقع ووجد.

وإذا أريد بها الوصف كانت ناقصة تحتاج إلى خبر تقول من ذلك كان زيد قائما.

قال : وذكر أهل التفسير أن كان في القرآن على ستة أوجه :

أحدها : أن تكون على أصلها إما تامة وإما ناقصة، ومنه قوله تعالى (وكان وراءهم ملك)[٤٢]. وقوله (إنه كان صادق الوعد)[٤٣]. ويظهر لي أن كلا من المثالين للناقصة، ومثل غيره للتامة التي لا تحتاج إلى خبر بقوله تعالى (وإن كان ذو عسرة)[٤٤] يريد : وإن حضر أو وجد، وهذه أظهر في كونها تامة، وقد ذكره في المعنى السادس.

ثم ذكر المعاني التي ذكرها الدامغاني قبل، غير أن الدامغاني ذكر أنها ترد بمعنى التفسير، وهو راجع في الحقيقة إلى ما قيل : إنها صلة أو زائدة فكلها ألفاظ تطلق على ما كان دخوله وخروجه في الجملة سواء[٤٥].

والقول بالزيادة في القرآن الكريم فيه نظر، بل لا يليق أن يقال فيه ألفاظ زائدة وهذا حقيقة، إذ عند التأمل والتدقيق في ألفاظ جمل آي القرآن لا يوجد حقيقة لهذا القول الذي قال به بعض العلماء بالزيادة، فكل لفظ في جمل آي القرآن في موضعه اللازم اللائق به، وهذا وجه كونه محكما، وسيأتي مزيد بيان لمسئلة الزيادة، ويقول شهاب الدين السمين في مادة : كون: قوله تعالى (وكان الله غفورا رحيما)[٤٦]:

كان هنا بمعنى لم يزل، وأصلها – يريد : كان – الدلالة على اقتران مضمون الجملة بالزمن الماضي، نحو : كان زيد عالما، معناه أنه اتصف بالعلم فيما مضى، ولا دلالة لها على الانقطاع، فإذا قلت : كان زيد قائما، ليس فيه دلالة على أنه الآن قائم.

قال : وهو أحد الجوابين عن قوله تعالى (وكان الله غفورا رحيما).

ثم ذكر أنها ترد بمعنى : صار، وترد زائدة باطراد، وتكون تامة وناقصة[٤٧]، وقد ذكر الأمثلة التي ذكرها غيره قبل.

وذكر الإمام السيوطي حقيقة الفعل – كان – مبينا عمله ذاكرا لمعانيه فقال: كان : فعل ناقص متصرف، يرفع الاسم وينصب الخبر، ثم فسر ذلك فقال: معناه في

الأصل المضي والانقطاع، نحو قوله تعالى (كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا) (٤٨).

ثم ذكر الوجوه والمعاني التي ترد عليها وأولها التي ترد بمعنى الدوام والاستمرار نحو قوله تعالى (وكان الله غفورا رحيما) (٤٩) وقوله (وكنا بكل شئ عالمين) (٥٠) أي : لم نزل كذلك.

قال : وعلى هذا المعنى تتخرج جميع الصفات الذاتية المقترنة بكان وهذه هي التي قيل فيها قبل إنها زائدة أو صلة أو للتأكيد، لكنه هنا ذكر معنى جديدا، وهو الدوام والأزل والاستمرار لأنها دخلت على صفات الباري سبحانه.

ثم ذكر عن أبي بكر الرازي قال : كان في القرآن على خمسة أوجه: أولها الذي يرد بمعنى الأبد والاستمرار، وذكر المثال السابق ويبدو أن الإمام السيوطي نقل عنه هذا المعنى في كان ، والمتعلق بصفات الله تعالى.

ثم قال : وبمعنى المضي المنقطع – وهي التي ترفع الاسم وتنصب الخبر، وهذا أصل معناها – نحو قوله تعالى (وكان في المدينة تسعة رهط) (٥١).

قال : وبمعنى الحال نحو (كنتم خير أمة أخرجت للناس) (٥٢) ، وقوله (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) (٥٣).

وبمعنى الاستقبال نحو قوله تعالى (يخافون يوما كان شره مستطيرا) (٥٤). قال : وترد بمعنى صار، وقد ذكره غيره.

ثم قال الإمام السيوطي : وترد بمعنى ينبغي، وذكر قبل، وبمعنى: حضر أو وجد، وهي التامة، وذكر لها مثالا للمضارع وهو قوله تعالى (إلا أن تكون تجارة حاضرة) (٥٥) وقوله (وإن تك حسنة) (٥٦).

قال : وترد للتأكيد، وهي الزائدة، وجعل منه قوله (وما علمي بما كانوا يعملون) (٥٧) أي : بما يعملون (٥٨).

قلت: وقد ذكرها غيره في الداخلة على صفات الله تعالى، وذكرت قبل كما في قوله تعالى (وكان الله غفورا رحيما) إذ الأصل: والله غفور رحيم.

وذهب بعض المفسرين إلى زيادة ـ كان – في مثل قوله تعالى (إن الله كان عليما حكيما) (٥٩) أي : لم يزل متصفا بذلك، فالخبر عن الله بهذا اللفظ كالخبر بالحال والاستقبال، بمعنى لم يزل كذلك، أو – كان – زائدة، أو كان كذلك، وهو

الآن على ما كان عليه، لأنه منزه عن الدخول تحت الزمان، وعلى هذا المعنى تتخرج جميع الصفات الذاتية المقترنة بـ كان [٦٠].

غير أن غالب المفسرين يرون أن الخبر بـ كان ـ كالخبر بالحال والاستقبال بمعنى أنه لم يزل كذلك متصفا بهذه الصفات.

وكذلك غالب أهل المعاني، يقول الإمام الزجاج في قوله (إن الله كان عليما حكيما) فيه ثلاث أقوال:

قال سيبويه : كان القوم شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وتفضلا، فقيل لهم : إن الله كان كذلك ولم يزل، أي : لم يزل على ما شاهدتم.

وقال الحسن : كان عليما بالأشياء قبل خلقها، حكيما فيما يقدر تدبيره منها.

وقال بعضهم : الخبر عن الله في هذه الأشياء بالمضي، كالخبر بالاستقبال والحال، لأن الأشياء عند الله في حال واحدة، ما مضى وما يكون وما هو كائن [٦١].

وبعض النحاة يرون زيادتها في مثل هذا [٦٢].

وقد أضاف الإمام الزركشي معنى آخر لـ (كان) وذلك في قوله تعالى (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) [٦٣] أي : ما قدرتم [٦٤]، فقد أرجع معنى ـ كان ـ هنا إلى قدرة الخلق، فليس للخلق قدرة إنبات شجر الأرض، وإن كانوا يحرثونها، وهو نظير معنى قوله تعالى (أفرأيتم ما تحرثون، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) [٦٥].

وقد جعلها غيره بمعنى : ما ينبغي [٦٦].

وقد حاول الإمام الزركشي تحليل أقوال النحاة والمفسرين في مدلول ـ كان ـ وذكر ترجيحاتهم، والقول الصواب عنده.

وقد أرجع الخلاف بين النحاة والمفسرين في هذه الأداة، في كونها تفيد الانقطاع أم لا تفيده.

والذين قالوا بأنها تفيد الانقطاع عللوا ذلك بأنها فعل، والفعل يشعر بالتجدد.

والذين قالوا بأنها لا تفيد الانقطاع، بل تفيد أو تقتضي الدوام الاستمرار عللوا ذلك بأنها تدخل كثيرا على صفات الله تعالى وأفعاله وصفات الله وأفعاله لا تتخلف عنه بحال، لأنها صفات عليا، لأنه كان ولا يزال متصفا بها.

وما جاء مثل قوله تعالى (وكان الشيطان لربه كفورا) [٦٧] فقد نبه بقوله - كان - على أنه لم يزل منذ أوجد منطويا على الكفر [٦٨].

وقد ذكر الإمام الزركشي قولا ثالثا، قال به بعض علماء التفسير وبعض النحاة، وقد نصر هذا القول الإمام الزمخشري، وذكر أن - كان - عبارة عن وجود الشئ في زمان ماضي على سبيل الإبهام، وليس فيه دليل على عدم سابق، ولا على انقطاع طارئ، ومنه قوله تعالى (وكان الله غفورا رحيما) [٦٩]، وقوله (كنتم خير أمة أخرجت للناس) [٧٠].

فهذا القول يرى أن - كان - تدل على زمان ماضي مبهم، لا دلالة فيه على عدم سابق، ولا انقطاع لاحق.

وذكر الإمام الزركشي قولا رابعا عن ابن عطية بأنها حيث وقعت في صفات الله تعالى فهي مسلوبة الدلالة على الزمان.

فقد خص من مدلول - كان - دلالتها على الماضي وقت دخولها على صفات الله تعالى، وهذا تخصيص بلا مخصص، وتقييد بلا مقيد إلا أنها صفات الله تعالى، ويستحيل فيها الانقطاع في زمن دون زمن. وقد رجح الإمام الزركشي بعد ذكره لهذه المقالات في - كان - ما ذهب إليه الإمام الزمخشري فقال:

والصواب من هذه المقالات مقالة الزمخشري، وأنها تفيد اقتران معنى الجملة التي تليها بالزمن الماضي لا غير، ولا دلالة لها نفسها على انقطاع ذلك المعنى ولا بقائه، بل إن أفاد الكلام شيئا من ذلك كان لدليل آخر [٧١].

فالأصل في - كان - أنها فعل موضوع لزمن ماضي، من غير دلالة على انقطاع أو عدمه، وليس خبرها داخلا في ذلك، لأنه صفة للمخبر عنه، وهذه الصفة راجعة إلى ذات الموصوف، إن كانت مستمرة أم غير مستمرة، وقد يستفاد بقاء الصفة في الحال وفيما لا يزال بالأدلة العقلية وباستصحاب الحال.

مثال الأول قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) [٧٢]. ومثال الثاني قوله (وكان الله غفورا رحيما) ومثال المنقطع قوله (وكان في المدينة تسعة رهط) [٧٣] وقولهم : كان زيد قائما، ويمكن أن يكون كلا منهما لبيان الحال التي هي عليه وقت الحدث، أو الأقرب إلى موضوع - كان - أن يكون ذلك راجعا إلى الكينونة المطلقة، وطبيعة المخبر عنه فإن زيدا لكونه بشرا من طبيعته القيام، وهؤلاء الرهط من طبيعتهم

وجبلتهم الفساد، وصفات الله تعالى لازمة لذاته، فلذا كان التعبير في كل ذلك بهذا اللفظ ـ كان ـ.

ولا ريب أن صفات الباري تعالى وأفعاله تابعة لذاته، فكما أن ذاته تعالى ليس كمثلها ذات، فكذلك صفاته، فإذا دخلت ـ كان ـ عليها فإن صفاته مستمرة لا تزال، لأنها لازمة له تعالى لا تنفك عنه بحال فهي صفات كمال وجلال، لا يوصف بها أحد غيره، وهذه قرينة دالة على استمرارية وأزلية الصفات، مع دخول ـ كان ـ عليها.

ولأن ـ كان ـ كذلك لا تفيد الانقطاع أو الاستمرار، بل هي فعل لزمن ماضي مبهم، غير معين ولا مقيد.

لذا فقد دخلها معان أخر بمعونة السياق، كما تقدم ذكره عند أهل المعاني والمفسرين، فهي بذلك من الألفاظ المتواطئة، وليست المشتركة أو المشككة.

واللفظ المتواطئ، هو اللفظ الذي توافق عليه معان عدة ، ليست موضوعة له ، ولكنها قابلة له بمعونة السياق، بخلاف المشترك الذي يدل بموضوعه على معنيين، يعمل بواحد منهما بدليل آخر.

فالفعل ـ كان ـ لزمن مبهم غير معين، لأنه من الكينونة التي تفيد عموم الأمكنة والأزمنة، ولذا كانت أم الباب لشمولها جميع الأزمنة، بخلاف أخواتها، فإنها تفيد زمنا معينا، كما في أصبح، فإنها تفيد تقييد الفعل بوقت الصبح، وبات لوقت البيات، وما زال تفيد الوقت في المستقبل، وكان تشمل كل الأوقات، لأن كل شئ داخل تحت الكون لا ينفك شئ من معاناها، ومن ثم صرفوها تصرفا ليس لغيرها (٧٤).

ولما كانت غير مقيدة ولا معينة لزمن ما دخلها معان كثيرة توارثتها أبرزها السياق الذي وجدت فيه، توافقا أو لزوما.

استعمالات ـ كان ـ في القرآن الكريم :ـ

إن الألفاظ المتواطئة، وهي المتوافقة التي توارد عليها معان كثيرة توسع دائرة المعنى في النص، ويكون بذلك إيجاز في الألفاظ، ولا يوجد هذا في لسان إلا لسان العرب، وهو الذي نزل به القرآن العظيم، وهذا النوع من الألفاظ كثير، ولذا كان الإيجاز، والقرآن الكريم قد جمع بين الإيجاز والإعجاز، أو جعل الإعجاز في الإيجاز.

وكان لفظ ـ كان ـ من الألفاظ المتواطئة التي توارد عليها معان كثيرة استفيدت بمعونة السياق، مع ضرورة وجود المعنى الموضوع له اللفظ في كل موضع، إذ المعنى الموضوع له، وهو الكينونة لا يفارقه بحال.

وقد أورد المفسرون وأهل المعاني استعمالات ـ كان ـ من جهة المعنى الذي سيقت فيه، وذكروا دليلا على كل معنى، وهذه المعاني أو الوجوه، كما عبر بها غير واحد من علماء المعاني [٧٥] التي استعملت فيها ـ كان ـ في آيات القرآن هي :

الأول : الماضي المنقطع، وهو الذي لزمن غير معين، وهو الكينونة الزمانية والمكانية، ومثلوا له بقوله تعالى (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) [٧٦] ولعل التعبير بكان هنا لموافقة طبع هؤلاء الرهط الذين في المدينة بالفساد، فمن طباعهم الفساد والإفساد فوافقت كينونة الزمان والمكان حال المخبر به، وهم الرهط، ببيان حالهم التي هم عليها، من الفساد وعدم الصلاح، فليس منهم صلاح أصلا.

ومن هذا قولهم : كان زيد قائما، فكان التعبير بكان لموافقة الكينونة الزمانية وحال المخبر به، الذي من طبيعته القيام، فالقيام من صفات الإنسان الذاتية وذلك لأن ـ كان ـ ليست بفعل محض، إذ يجوز أن تقول : كان زيد قائم أي : كان هذا الحديث [٧٧]، فكان ليست بدالة على الحدث، وهذا وجه تسمية ـ كان ـ بالناقصة، وإنما هي داخلة على المبتدأ والخبر، عبارة عن مضي في الزمان الذي كان فيه ذلك الحدث، ومن ذلك قوله تعالى (قل إن كانت لكم الدار الأخرة) [٧٨] والمعنى عليه: إن كانت قد وجبت لكم الدار الآخرة وثبتت لكم في علم الله تعالى فتمنوا الموت الآن [٧٩].

فكان في هذا المثال و نحوه ليست فعلا على الحقيقة، تقول: ضرب زيد عمروا، فتخبر بأن فعلا وصل من زيد إلى عمرو، فإن قلت : كان زيد أخاك، لم تخبر أن زيدا أوصل إلى الأخ شيئا، ولكن زعمت أن زيدا أخوه فيما خلا من الدهر [٨٠].

فهي ليست عبارة عن الحدث، وإنما هي عبارة عن الزمان، والزمان لا يضمر وإنما يضمر الحدث، إلا أن يلفظ به، فإن لم يلفظ به لم يعقل، وهذا شامل لـ ـ كان ـ الزمنية و ـ كان ـ التامة، فكل منهما يرجعان إلى أصل واحد، وهو الزمان.

الثاني : بمعنى الأزل والدوام والأبد، وذلك لبيان أزلية الصفات وأنها لا تحدث بحدوث متعلقة، فالمخبر عنه بها صفاته أزلية، كما في قوله تعالى (وكان الله غفورا رحيما) [٨١] فالله غفور قبل وجود المغفور له، ولذا قيل: الأفعال المسندة إلى الله تدل على الحدث، وهي مجردة عن الزمان [٨٢] ومنه قوله تعالى (وكان الله عليما حكيما) [٨٣] وقوله (وكان الله قويا عزيزا) [٨٤] فحيث وقع الإخبار بـ (كان) عن صفة ذاتية فالمراد

الإخبار عن وجودها، وأنها لم تفارق ذاته، وحيث وقع الإخبار بها عن صفة فعلية فالمراد تارة الإخبار عن قدرته عليها في الأزل، نحو: كان الله خالقا ورازقا ومحييا ومميتا، وتارة تحقيق نسبتها إليه نحو قوله تعالى (وكنا فاعلين) (٨٥) وتارة ابتداء الفعل وإنشاؤه نحو قوله تعالى (وكنا نحن الوارثين) (٨٦) فإن الإرث إنما يكون بعد موت المورث، والله سبحانه مالك كل شئ على الحقيقة من قبل ومن بعد.

وحيث أخبر سبحانه بها عن صفات الآدميين فالمراد التنبيه على أنها فيهم غريزة وطبيعة مركوزة فيهم نحو قوله تعالى (وكان الإنسان عجولا) (٨٧) وقوله (إنه كان ظلوما جهولا) (٨٨).

ويدل عليه قوله تعالى (إن الإنسان خلق هلوعا، إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا) (٨٩) يريد : أنه خلق على هذه الصفة، وهي مقدرة أو بالقوة ثم تخرج إلى الفعل.

وحيث أخبر بها عن أفعالهم دلت على اقتران مضمون الجملة بالزمان نحو قوله تعالى (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات) (٩٠)، وقول بعضهم : كان هذا الفقير غنيا، وقولهم : كان لي مال، فإن هذا وما شابهه من صفات الآدميين العرضية يدل على صلاح وقوعها منهم، وأن الشخص الواحد قد يقع له فقر وغنى وقوة وضعف وغير ذلك من الصفات المتنقلة فيهم، والتي لابد لهم منها.

ومن هنا قال من قال : إنها تدل في مثل ذلك على الانقطاع.

وإذا تؤمل مثل هذا علم أن هذا لا علاقة له بـ ـ كان ـ وإنما إخبار عن صفة متنقلة في بني آدم، كما يمكن الإخبار عن صفاتهم اللازمة، دون نظر إلى أن هذه الصفات مستمرة أو غير مستمرة ، ولذا قال من قال من العلماء : إن ـ كان ـ تفيد الاستمرار.

والصحيح أنه يخبر بها عن الصفات في الموصوف، دون نظر لوجود الصفة في الموصوف وقت الإخبار عنه .

وحكمة التعبير بـ كان ـ في مثل هذا ، إنما هو لدلالتها على الكينونة المتعلقة بصفة المخبر عنه بها.

فالكينونة ليس فيها انقطاع، أما الصفة أوالحال المخبر عنه بها، فقد يكون فيها انقطاع، لأنها صفة أو حال متنقلة وليست لازمة كما هو شأن صفة الخالق سبحانه، فإن

صفاته لازمة لذاته فمادة ـ كان ـ تدل على الكينونة، والكينونة ليست حدثا حقيقة ، لعدم تقييدها بزمن، لكن لفظها يدل على الزمان والفعل، وقد رفع بها ما بعدها، ولذا تواردت عليها معان عدة بحسب سعتها والسوق الذي جاءت فيه.

الثالث : بمعنى ـ ينبغي، أو قدر، لبيان كمال قدرة الله تعالى وحده على إيجاد الأشياء التي يحتاج إليها الخلق، وليس في مقدور الخلق ذلك، وذلك مثل قوله تعالى (وأنزل من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) [٩١] يريد بـ كان ـ هنا : ما ينبغي لكم ، أو ما قدرتم أن تنبتوا شجرها ونفى الانبغاء أبلغ من نفي القدرة، إذ عدم الانبغاء مستلزم عدم القدرة.

والكينونة التي هنا في ـ كان ـ منفية، إذ ليس للخلق في أي وقت أو مكان قدرة على إيجاد زرع أو شجر، فهم خلق وينبغي أن ينفي عنهم، لنفي قدرتهم على ذلك. فما ينبغي لكم، لأنكم لا تقدرون على ذلك، لأن الإنسان قد يقول: أنا المنبت للشجرة بأن أغرسها وأسقيها الماء، فأزال الله تعالى هذه الشبهة بقوله: ما كان لكم أن تنبتوا شجرها، لأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والطعوم والروائح تسقي بماء واحد لا يقدر أحد عليه إلا الله تعالى، ولا يتأتى لأحد وأن تأتي ذلك لغيره محال [٩٢] ، ونظير هذه الآية قوله تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه) [٩٣] ، وقوله (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله) [٩٤] ، ومثال المضارع منه قوله تعالى (ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) أي: لم ينبغ لنا [٩٥] .

ونظير الآية السابقة قوله تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) [٩٦] وقوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) [٩٧] ، يريد : ما ينبغي أو ما صح [٩٨] وما استقام. وقوله (قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم) [٩٩] يريد : ما ينبغي وما يصح، فهو كالحال مبالغة.

وكل ذلك وما كان في معناه مقصوده الحظر والمنع، فهو يجئ لحظر الشئ والحكم بأنه لا يكون، وامتناعه إما عقلا، كما في آية النمل (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) أو شرعا كقوله (ما كان لبشر) وربما كان في المندوب، كما تقول: ما كان لك ترك التنفل [١٠٠] .

الرابع : ترد ـ كان ـ بمعنى : صار لبيان أن ما أخبر به كان معلوما قبل أن يظهر، وذلك ككفر إبليس، كما في قوله تعالى (وكان من الكافرين) يريد: وصار، فإن

كفر إبليس معلوم قبل أن يظهره، لذا كان التعبير بكان لبيان الكينونة الكفروية فيه قبل أن يظهر ذلك وقت أن أمر بالسجود لآدم فأبى، وكان بذلك من الكافرين المستكبرين. قال الإمام الألوسي : وقيل: كان - بمعنى : صار، وهو مما أثبته بعض النحاة، قال ابن فورك: وترده الأصول، ولأنه كان الظاهر حينئذ : فكان بالفاء (١٠١).

وقيل: الأظهر أن - كان - هنا على بابها، والمعنى: وكان من القوم الكافرين الذين كانوا في الأرض قبل خلق آدم على ما روى، أي : وكان في علم الله تعالى (١٠٢).

وما قاله ابن فورك متوجه، إذ لو كانت - كان - هنا بمعنى صار لقرنت بالفاء، ولكن جاءت الجملة بالواو فدل ذلك على أن - كان - ليست بمعنى صار، وذلك بظهور ذلك الكفر وقت الأمر بالسجود، بل هذا الكفر في كينونته وطبيعته، فأخبر عما هو من طبيعته، وكأنه كان يتظاهر بالإيمان، إذ الأصل من طبيعته الكفر، وهذا سر التعبير بـ كان -.

ولا مانع من دخول معنى - صار - باعتبار أن - كان - أم الباب فهي شاملة لجميع الأوقات لدلالتها على الكينونة الزمانية والمكانية مطلقا.

ولو أراد المعنى المطلق مع معنى صار، ويكون صار هو الأبرز لقال : فكان من الكافرين ، ويكون نظير قوله (فكانت أبوابا) كما سيأتي، ويؤيده ما ذكره شيخ زاده أن كان بمعنى صار: والمعنى : تحول حاله إلى الكفر بسبب استقباحه أمر الله تعالى واستكباره، واعتقاده بكونه محقا في ذلك التمرد باستدلاله على ذلك بقوله (أنا خير منه) وهو نظير قوله تعالى (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين).

وهو قريب مما ذهب إليه الزجاج بعد ذكره أن إبليس كان من الجن، فقال: فتأويلها أنه عمل عملهم فصار بعضهم، كما قال عز وجل (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) (١٠٣).

وقد رجح بعضهم معنى - كان - الموضوعة له ، وهو الكينونة والطبع، مع معنى - صار -.

قال : وقد تحير أكثر المفسرين في بيان معنى (وكان من الكافرين) فتمحلوا بأنه كان في علم الله، وتمحل بعضهم بأن إبليس كان مظهرا للطاعة مبطنا للكفر نفاقا ، والله مطلع على باطنه، ولكنه لم يخبر الملائكة، ولم يصوب هذه الأقوال، قائلا

: وكل ذلك تمحل لا داعي إليه، لما علمت من أن ـ فعل المضي يفيد مضي الفعل قبل وقت التكلم.

ثم قال : وأمثلهم طريقة الذين جعلوا ـ كان ـ بمعنى صار، فإنه استعمال من استعمال فعل ـ كان ـ قال تعالى (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) (١٠٤)، فهو قد صار من الكافرين بعدم السجود، لأن امتناعه نشأ عن استكباره على الله، واعتقاد أن ما أمر به غير جار على حق الحكمة.

ثم قال مرجحا : والذي أراه أحسن الوجوه في معنى (وكان من الكافرين) : أن مقتضى الظاهر أن يقول: وكفر ـ أبى واستكبر، فعدل عن مقتضى الظاهر إلى (وكان من الكافرين) لدلالة ـ كان ـ في مثل هذا الاستعمال على رسوخ معنى الخبر في اسمها، والمعنى : أبى واستكبر وكفر كفرا عميقا في نفسه (١٠٥).

ونظير ذلك في معنى ـ كان ـ قوله تعالى (وفتحت السماء فكانت أبوابا) (١٠٦) يريد: فصارت.

ومثل ذلك في الفعل المضارع قوله تعالى (يوم تكون السماء كالمهل، وتكون الجبال كالعهن) (١٠٧) يريد : تصير (١٠٨).

وهذه الحالة في السماء والأرض أشارت إليها الكينونة التي في ـ كان ـ وذلك باعتبار ظهور ذلك فيهما، وتحولهما من حالة إلى أخرى، وكان التعبير بلفظ ـ كان ـ لإرادة العموم، إذ التعبير باللفظ الأعم هو عادة القرآن العظيم.

ولذا يقول الإمام البقاعي في معنى قوله تعالى (وفتحت السماء فكانت أبوابا) أي: كلها كينونة، كأنها جبلة لها، وفي قوله (فكانت سرابا) أي : كينونة راسخة (١٠٩).

فهو يذكر المعنى الموضوع له ـ كان ـ بإرجاع ذلك إلى الكينونة، ثم يذكر المعنى المضاف إلى ذلك بمعونة السياق، ولم يذكره هنا لاختلاف الناظر إلى السياق، إذ السياق يحتمل منه معان عدة إضافية، لكن الأبرز هنا هو معنى ـ صار ـ ومثل هذا يخرج المضارع منها في قوله (يوم تكون السماء كالمهل).

الخامس : ترد ـ كان ـ صلة في الكلام ، وهي التي يقال: إنها زائدة ولكن بعض العلماء يتحرج من قول زائدة، فيذكر ذلك بلفظ ـ صلة ـ والزيادة قيل هي: التي دخولها وخروجها سواء في الجملة، وهذا الذي جعل العلماء يقولون زائدة أو صلة للتوكيد، مخافة أن يقال: إن القرآن يوجد فيه ألفاظ يمكن الاستغناء عنها.

وبعض العلماء يطلق على مثل هذا حشوا أو مهملا أو غير ذلك من الألفاظ التي يجب أن ينزه القرآن عن إطلاقها على بعض ألفاظه فهذا كله عفش يجب تنزيه القرآن عن أن يطلق على بعض ألفاظه هذه الاصطلاحات.

والواجب بذل الجهد في معرفة المقصود من كل لفظة في جمل الآية القرآنية فإن أعياك معرفة المقصود فلتكل العلم لأهل العلم فعندهم الجواب على هذا.

وأنا ما كان فقد مثلوا لهذا بقوله تعالى (كيف نكلم من كان في المهد صبيا) (١١٠) يريد : من في المهد صبيا، قال أبو عبيدة : كان زائدة لمجرد التأكيد من غير دلالة على الزمان (١١١).

وقال غيره : وكان زائدة والظرف صلة من ـ وصبيا ـ حال من المستكن فيه أو تامة أو دائمة ، كقوله تعالى (وكان الله عليما حكيما) (١١٢)، أو بمعنى : صار (١١٣) ومقصوده بـ تامة، أن تكون ـ كان ـ بمعنى ـ وجد ، وصبيا حال مؤكدة أيضا وهي وإن دلت على المضي أيضا إلا أن معنى المضي هنا تقدمه على زمان التكلم في الجملة، ويقاؤه عليه بحكم الاستصحاب، وفيه نظر، فإنه على هذا ما الفرق بين التامة والناقصة (١١٤)؟.

والقول بأن ـ كان ـ هنا دائمة، وهي التي تدل على الدوام والاستمرار بقطع النظر عن المضي وغيره، فهي بمعنى لم يزل ولا يزال والدوام هنا يكون بمعنى ثبوت الخبر في الماضي من غير انقطاع له (١١٥) فيصح أن يراد به هذا هنا، لأن هذا أصل موضوع ـ كان ـ ، وذلك لصلاح الخبر لقريبه وبعيده، وهو ههنا لقريبه خاصة، والدال عليه أن الكلام مسوق للتعجب، فيكون المعنى: كيف نكلم من كان بالأمس وقريبا منه من هذا الوقت في المهد، وغرضهم من ذلك استمرار حال الصبي به لم يبرح بعد عنه ولو قيل : من هو في المهد، لم يكن فيه تلك الوكادة من حيث السابق كالشاهد على ذلك ، ومن ـ على هذا موصولة يراد بها عيسى – عليه السلام – (١١٦).

والأولى في تخريج مثل هذا النص (من كان في المهد) وكذلك (وكان الله عليما حكيما) هو إرجاع لفظ ـ كان ـ إلى أصل معناها، وهو الكينونة المبهمة الصالحة لقريبه وبعيده، وهنا لقريبه خاصة، إذ الكلام سيق للتعجب، فيكون بيانا لاستمرار حال الصبي في الوقت الذي لم يبرح عنه وهو ما ذهب إليه الإمام الزمخشري، من حيث بيان

الوكادة لهذه الحال التي قيس فيها الشاهد على السابق، فأشار بكان هنا إلى عيسى وحالته التي شاهدوه عليها[١١٧].

فكان هنا ليست بزائدة، ولا كذلك في المثال الثاني، وقد تقدم تخريجه. ونظيره قوله تعالى (وما علمي بما كانوا يعملون)[١١٨] والتقدير: وما علمي بما يعملون، فقد قيل بزيادتها هنا، لأنه قد كان عالما ما علموه من إيمانهم به[١١٩].

ومن هنا فليس في القرآن ألفاظ زائدة، بل كل لفظ موضوع موضعه اللائق به اختيارا واشتقاقا وتقديما وتأخيرا بل يمكن القول : إن كل حرف في جمل القرآن موضوع موضعه الواجب اللائق به، ولو حذف أو استبدل بغيره أو قدم أو أخر اختل النظم القرآني، واختل المعنى الذي سيق من أجله النص فالواجب البحث والتدقيق في كل ما قيل فيه، إنه زائد أو صلة في القرآن العظيم، إذ القرآن ونظمه أعلى وأعظم من قياسه على كلام البشر، بل ينزه عن القياس والمشابهة.

السادس : ترد وتستعمل بمعنى الحال لبيان خصوصية المذكور بها وأن الوصف المخبر به بـ ـ كان ـ متعلق بحاله، وذلك مثل قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[١٢٠]. فإن الخيرية هنا خاصة بالصحابة – رضى الله عنهم ـ ، لوقوع هذه الحال منهم وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن هذه الخيرية حاصلة ما دامت هذه الحال واقعة.

يقول الإمام الألوسي : وكان في قوله (كنتم) ناقصة، ولا دلالة لها في الأصل على غير الوجود في الماضي من غير دلالة على انقطاع أو دوام، وقد تستعمل للأزلية، كما في صفاته تعالى نحو (وكان الله بكل شئ عليما) وقد تستعمل للزوم الشئ وعدم انفكاكه نحو قوله (وكان الإنسان أكثر شئ جدلا)[١٢١].

قال : وعلى القول الأول، وهو المصحح، لا تشعر الآية بكون المخاطبين ليسوا خير الأمة الآن[١٢٢].

وذلك لأنها بيان لحال الصحابة – رضى الله عنهم ـ ، وإن كانت تلك الحال يمكن أن تكون في غيرهم ممن بعدهم، إذا هم حققوا ما حققه الصحابة – رضى الله عنهم ـ ، لأنه ثمرة الإيمان، وهو التأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وذكر ابن القيم في قوله (كنتم) أنها على قولين : **أحدهما** : أنها على أصلها، والمراد بها الماضي، ثم فيه ثلاثة أقوال : أحدها : أن معناه : كنتم في اللوح المحفوظ

والثاني: أن معناه: خلقتم ووجدتم، قال: ذكرهما المفسرون. الثالث: أن المعنى: كنتم مذ كنتم، ذكره ابن الأنباري.

قال: والثاني: أن معنى (كنتم) أنتم، كقوله تعالى (وكان الله غفورا رحيما) ذكره الفراء والزجاج.

قلت: وهو ما قيل بزيادة ـ كان ـ في مثل هذا المثال، وكان لا تزاد في أول الكلام باتفاق (١٢٣). والجملة هنا ـ كنتم خير أمة، مستأنفة.

وذكر ابن القيم أن ابن قتيبة قال: قد يأتي الفعل على بنية الماضي، وهو راهن، أو مستقبل كقوله (كنتم) ومعناه: أنتم (١٢٤).

وهذا القول الأخير هو الموافق لموضوع ـ كان ـ وهو إفادة الاستمرارية في الخيرية لمن جاء بعد الصحابة – رضى الله عنهم – بتحقيق صفات أمة الخيرية، وكأنه يشير بهذا أن المؤمن الذي لا يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا إيمان له، بدليل قوله تعالى بعده (ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم) مع إيمانهم بالله (١٢٥).

ويقول الإمام العجيلي: وـ كنتم ـ من كان الناقصة التي تدل على تحقيق شئ بصفة في الزمان الماضي من غير دلالة على عدم سابق أو لاحق، كما في قوله (وكان الله غفورا رحيما). وقيل: كنتم في علم الله تعالى أو في اللوح، أو فيما بين الأمم السالفة (١٢٦).

ونظير هذا قوله تعالى (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) (١٢٧)، فإن المقصود بيان الحال والوقت الذي تؤدي فيه الصلاة، إذ (موقوتا) معناه: محدود الأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها في شئ من الأحوال، فلابد من إقامتها سفرا أيضا، ويمكن أن يكون المقصود: كانت عليهم أمرا مفروضا مقدرا في الحضر بأربع ركعات، وفي السفر بركعتين، فلابد أن تؤدي في كل وقت حسبما قدر فيه (١٢٨).

فكان هنا لبيان الحال التي يجب أن يكون عليها المصلي، وهو تأدية الصلاة في الوقت المحدد لها، وأن يستوفيها حقها بالصفة التي بينها النبي – صلى الله عليه وسلم –، وهي بذلك دالة على الاستمرارية مع ذلك الوصف الذي هو الإيمان، فقد أفادت معنى الحال مضافا إلى معناها الموضوعة له، ومعنى الحال ظهر بمعونة السياق الذي جاءت فيه.

ولبيان وجوب القيام بالصلاة على أدائها في حال المسايفة، والمقارعة بالرماح.

فالآية سيقت لبيان وجوب المداومة على ذكر الله تعالى في جميع الأحوال.

وإذا أردتم أداء الصلاة فصلوا قائمين حال الصحة والقدرة على القيام، وقاعدين حال المرض والعجز عن القيام، ومضطجعين على الجنوب حال العجز عن القعود [١٢٩].

فورود ـ كان ـ هنا لبيان ديمومة الحال بقيام الصلاة على أي حال، و ـ كان ـ هي التي تحمل هذا المعنى، وهو الكينونة المستمرة التي هي أصلها، والتي تدخل في جميع الأحوال.

ولما كانت موضوعة للكينونة التي تدل على الاستمرار جاءت بمعنى الاستقبال.

السابع : ترد بمعنى الاستقبال لبيان الإعداد لهذا الأمر منذ الأزل، وذلك كما في قوله تعالى(يوفون بالنذر و يخافون يوما كان شره مستطيرا) [١٣٠]، فهو اليوم الذي أعد له من الأزل، ووقوعه في المستقبل [١٣١] ولأن ـ كان ـ ليست لزمن معين أخبر بها عن ذلك اليوم لوجود الكينونة المستمرة والسياق هو الذي أفهم معنى المستقبل، ببيان الحال التي يكون عليها ذلك اليوم الذي يتطاير شرره وينتشر.

ولبيان الكينونة في ـ كان ـ في كل موضع ترد فيه ، قال تعالى (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) [١٣٢] فإنه يطول زمان ذلك اليوم بسبب الشدائد الواقعة فيه، فيطول على قوم ويقصر على آخرين [١٣٣]. إذ لو أراد حقيقة العدد لقيل: في يوم مقداره خمسين ألف سنة، ولم تذكر ـ كان ـ إنما جئ بكان لبيان طول الزمان النسبي على الخلق.

جاء في الحديث : والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا [١٣٤].

الثامن : ترد ـ كان ـ بمعنى - حضر ، أو - وجد، وهي التي يقال لها التامة، وذلك لاكتفائها بمرفوعها. وكان التامة : عبارة عن حدوث الشئ ووقوعه استغنى عن الخبر، لأنه دل على معنى وزمان، تقول: كان الأمر وأنا أعرفه مذ كان، أي : مذ خلق [١٣٥].

وذلك بخلاف الناقصة، وهي التي عبارة عن الزمان، وهي الداخلة على المبتدأ والخبر، وهو الذي ثبت معناه وعرف وجوده [١٣٦]. ومثال التامة قوله تعالى (وإن كان ذو عسرة) والتقدير : وإن حضر، أو إن وجد ذو عسرة، والسر في استعمال ـ كان ـ هنا لبيان أن المعسر يمهل إن كان صادقا في إعساره غير متظاهر به في الحال، وهو يخفي يساره ، فاستعملت ـ كان ـ هنا تامة وقرئ [١٣٧] (وإن كان ذا عسرة) بنصب (ذا) على أنه خبر

(كان) ، واسمها محذوف، والتقدير: وإن كان الغريم (ذا عسرة)، وعلى هذا لا تكون ـ كان ـ تامة.

يقول الإمام السمين : والأظهر أن ـ كان ـ تامة بمعنى : حدث ووجد، أي: وإن حدث ذو عسرة، فتكتفي بفاعلها كسائر الأفعال.

قيل : وأكثر ما تكون كذلك إذا كان مرفوعها نكرة نحو : قد كان من مطر.

والثاني: أنها الناقصة والخبر محذوف، وتقديره: وإن كان ذو عسرة لكم عليه حق، أو نحو ذلك، وقد رد تقدير الخبر في ـ كان ـ وإن جاز في ـ ليس .

ثم قال : والجمهور على ترجيح قراءة العامة [١٣٨] . وهو كون ـ كان ـ تكتفي بمرفوعها هنا في هذه الآية لإرادة العموم، إذ لو قدر محذوفا لكان ذلك الحكم للمحذوف، وهو ما كان في الربا دون غيره.

وقال أبو السعود : أي إن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة ، على أن ـ كان ـ تامة ، وقرئ : ذا عسرة ، على أنها ناقصة [١٣٩] .

والمضارع من التامة كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بالباطل إلا أن تكون تجارة) [١٤٠] برفع (تجارة) [١٤١] على أن ـ كان ـ تامة ، والتقدير : إلا أن تقع تجارة، أو توجد تجارة، أو : ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض، أي: وقوعها، أو ولكن وجود تجارة عن تراض غير منهي عنه [١٤٢] .

ونظيره قوله تعالى (وإن تك حسنة يضاعفها) قرئ برفع (حسنة) على أن ـ كان ـ تامة [١٤٣] ، والتقدير : وإن تقع حسنة، أو : وإن تحدث حسنة يضاعفها [١٤٤] .

الفرق بين ـ كان ـ الناقصة و ـ كان ـ التامة : ـ

إن كان الناقصة هي عبارة عن الزمان ، وهي التي تدخل على الاسم والخبر وهو ما ثبت معناه وعرف وجوده من الصفات، فترفع الاسم وتنصب الخبر، فهي ليست علة لحادث، ولا تتعدى إلى المفعول من أجله، ولا إلى الحال وظرف المكان [١٤٥] ، والتامة يراد بها الذات، ولا تفتقر إلى خبر لأنها لا تعمل في الحال، ولا تدخل على الاسم والخبر بل تكتفي بمرفوعها، فكان التامة عبارة عن حدوث الشئ ووقوعه وتستغني عن الخبر، وهي تدل على حدث وزمان، أو معنى وزمان.

تلك هي استعمالات ـ كان ـ الناقصة والتامة، وهذه الاستعمالات برزت من السياق التي جاءت فيه، فكل معنى من هذه المعاني أو كل استعمال من هذه الاستعمالات ينضاف إلى معناها الموضوعة له، إذ معناها الموضوعة له لا يفارقها البتة وهذا هو شأن الألفاظ المتواطئة.

فعلى طالب علم التفسير أن يدقق في المعنى المستعمل في السياق وأن يضيفه إلى المعنى الموضوعة له ـ كان ـ ويوسع بذلك دائرة المعنى في كل موضع، وسوف يظهر له كمال النظم القرآني.

(كاد) عند اللغويين :

كاد أصله: كود، مثل كان أصله كون، وقال قول، يقال : كاد يفعل كذا يكاد كودا، ومكادة أيضا بالفتح أي : قاربه ولم يفعل ، وحكى سيبويه عن بعض العرب: كدت أفعل كذا بضم الكاف.

وكاد موضوع لمقاربة الفعل، فعل أو لم يفعل[١٤٦]، فموضوعها مقاربة وقوع الفعل أو عدم مقاربته للوقوع إن دخل عليه نفي، فهي موضوعة لقرب حصول الفعل ودنوه، لا على رجائه.

وقال أبو الخطاب: وما زيل يفعل كذا، يريدون : كاد وزال، كما نقلوا في فعلت[١٤٧].

قال ابن فارس: وكاد كلمة كأنها تدل على التماس شئ ببعض العناء، يقولون : كاد يكود كودا ومكادا، ويقولون لمن يطلب منك الشئ فلا تريد إعطاءه: لا ولا مكادة ثم قال : فأما قولهم في المقاربة : كاد فمعناها قارب، وإذا وقعت كاد مجردة فلم يقع ذلك الشئ تقول: كاد يفعل ، فهذا لم يفعل، وإذا قرنت بجحد فقد وقع، إذا قلت: ما كاد يفعله فقد فعله، قال الله تعالى (فذبحوها وما كادوا يفعلون)[١٤٨].

قال أبو منصور: ولا تدخل : أن مع كاد، ولا مع ما تصرف منها . قال تعالى: (وكادوا يقتلونني)[١٤٩] وكذلك جميع ما في القرآن[١٥٠]، إلا ما كان في ضرورة الشعر، كما قيل : قد كاد من طول البلى أن يمحصا، أي : يمضي ويدرس[١٥١].

ويقال : وكاده وكايده، وكادت الشمس أن تغيب، وما كان بضم الكاف ـ كدت ـ وأصله ياء ، يقال : رأيته يكيد بنفسه: يقاسي المشقة في سياقه، وغزا فلم يلق كيدا، أي: لم يقاتل[١٥٢].

ويقول صاحب القاموس : الكود : المنع، وكاد يفعل، وكيد كودا ومكادا ومكادة قارب ولم يفعل (١٥٣).

وهو يشير بجواز كون ـ كاد ـ واوية ويائية ، غير أن الواوية معناها المقاربة، وهي بكسر الكاف : كدت ، واليائية ترجع إليها في أصل المعنى وهي بضم الكاف: كدت ، وتستعمل بمعنى ـ مكر ـ ومنه قوله تعالى (فيكيدوا لك كيدا) (١٥٤).

فمادة هذا الفعل تدور حول المقاربة، وذلك كسائر الأفعال الموضوعة لمعنى، وقد تستعمل في معنى أو معان أخرى.

كاد عند النحاة والمعربين :ـ

ذكر النحاة إعمال كاد بعد ـ كان ـ لأن كلا منهما أفعال ناقصة، وأن ـ كاد ـ وإن كان معناها المقاربة إلا أنها ترفع الاسم وتنصب الخبر مثل ـ كان ـ غير أنهم اشترطوا في خبرها أن يكون فعلا مضارعا متأولا باسم فاعل.

فمن أفعال المقاربة ـ كاد ـ تقول : كاد يفعل ، أي قارب الفعل، ولم يفعل، إلا أن ـ كاد ـ أبلغ في المقاربة من ـ عسى ـ وغيرها.

فإذا قلت : كاد زيد يفعل ، فالمراد قرب وقوعه في الحال، إلا أنه لم يقع بعد، لأنك لا تقوله إلا لمن هو على حد الفعل، كالداخل فيه لازمان بينه وبين دخوله فيه، قال الله تعالى (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) (١٥٥). وهي ترفع الاسم وتنصب الخبر حملا لها على ـ كان ـ لدخولها على المبتدأ والخبر وإفادة معناها في الخبر (١٥٦).

ويقول ابن هشام : كاد : فعل ماضي معناه المقاربة، وهي أقوى في المقاربة من ـ عسى ـ ألا ترى أنك لا تقول : كاد زيد يدخل المدينة إلا وقد شارفها وقرب منها، وتقول : عسى زيد أن ينجح ، وهو لم يبرح من منزله.

ثم قال : والوجه أن تستعمل ـ يريد ـ كاد ، بغير ـ أن ـ فتقول : كاد زيد يقوم (١٥٧).

ولذا يقول الإمام الجرجاني : اعلم أن ـ كاد ـ مجانس لعسى في إفادة المقاربة إلا أن ـ كاد ـ أتى به لإفراط تقريب الشئ من الحال، و ـ عسى ـ أذهب في الاستقبال من ـ كاد ـ فلما كان كذلك خص ـ عسى ـ بأن الذي هو علم الاستقبال ، ولم يدخل على الفعل الذي يقربه ـ كاد ـ (١٥٨).

ويزيد ابن يعيش شرح ذلك بقوله : واشترطوا أن يكون الخبر فعلا ، لأنهم أرادوا

قرب وقوع الفعل، فأتوا بلفظ الفعل ليكون أدل على الغرض، وجرد ذلك الفعل من ـ أن ـ لأنهم أرادوا قرب وقوعه في الحال، و ـ أن ـ تصرف الكلام إلى الاستقبال فلم يأتوا بها لتدافع المعنيين.

ثم قال : ولما كان الخبر فعلا محضا مجردا من ـ أن ـ قدروه باسم الفاعل، لأن الفعل يقع في الخبر موقع اسم الفاعل، نحو : زيد يقوم ، والمراد : قائم (١٥٩).

ومن أجل هذا كانت ـ كاد ـ متصرفة بخلاف ـ عسى ـ وإن كان معناهما واحد، وهو المقاربة ، فكاد يخبر بها عن المقاربة فيما مضى وفيما يستقبل نحو : كاد زيد يقوم أمس، ويكاد يخرج غدا .

فلما أريد بها معنى المضى والاستقبال أتى لها بالأمثلة التي تدل على الأزمنة، وهو بناء الماضي والمضارع.

ولما كانت ـ عسى ـ طمعا والطمع يختص بالمستقبل فقط اختير له أخف الأبنية، وهو مثال الماضي، ولم تكن حاجة إلى تكلف زيادة المضارع (١٦٠).

والمقاربة : مفاعلة على غير بابها، والمراد أصل القرب، لأن الفعل هنا واحد كـ (سافر) لا من اثنين لـ (قاتل) ، ويمكن جعلها على بابها لقرب كل من معنى الاسم ومعنى الخبر من الآخر، وإن كانت دلالتها على قرب الخبر بالوضع وعلى قرب الاسم باللزوم (١٦١).

فـ ـ كاد ـ من أفعال المقاربة ، وهي ليست أم الباب مثل ـ كان ـ ، وليس أفعال المقاربة الأخرى أخواتها، لعدم دلالتها على جميعها، وإن كانت تدل على بعضها، وقرب الأخرى.

فالأول مثل : كرب ، وأوشك ، والثاني مثل : عسى .

فهي موضوعة للدلالة على قرب وقوع الفعل وهو الخبر وعملها كعمل ـ كان ـ في أنها ترفع الاسم، وتنصب الخبر، ويشترط في خبرها أن يكون فعلا مضارعا غير مقرون بـ أن ، كما في قوله تعالى (يكاد البرق يخطف أبصارهم) (١٦٢)، وامتنع مقارنة خبرها بـ أن ـ لمقاربة الفعل، و ـ أن ـ تخلص للاستقبال فتنافيا (١٦٣). وليؤكد القرب بالدلالة على الحال.

بين ـ كاد ـ وعسى : ـ

كاد - وعسى ، كل منهما من أفعال المقاربة ، فكاد لقرب وقوع الفعل وهي أقوى أفعال الباب في المقاربة (١٦٤).

وعسى لقرب وقوع الرجاء، والطمع في وقوعه مستقبلا، لذا لم يكن من - عسى - إلا الماضي ، لأنه أخف الأبنية ، بخلاف - كاد - فلأنها ترد بمعنى الماضي والاستقبال ، فقد جاء منها الماضي - كاد - والاستقبال - يكاد - .

والأصل في - عسى - اقتران خبرها بـ أن - ، لما فيها من الطمع والإشفاق وهما معنيان يقتضيان الاستقبال ، وأن - مؤذنة بالاستقبال، وقد قل أو ندر عدم اقتران خبرها بـ أن - ، بخلاف - كاد - فقد قل أو ندر أو شذ اقتران خبرها بـ أن - إذ المراد بـ كاد - قرب حصول الفعل في الحال (١٦٥) ، فتشبه - عسى - في هذا ، وجاء هذا في الشعر، أما في القرآن فلم يرد اقتران خبر - كاد - بأن ، ولم يرد عدم اقتران خبر - عسى - بأن. وقد ذكر عن الرماني أنه قال : يفرق بين - كاد - وعسى، بأن خبر - كاد - لا يكون إلا جملة ، وخبر - عسى - مفرد (١٦٦).

والأقرب إلى معنى - كاد - من أخواتها : كرب ، وأوشك ، والأقرب إلى معنى - عسى - ووجوب اقتران خبرها بـ أن - جرى ، وأخلولق، فهما يدلان على الرجاء ، وبقية الأفعال التي هي للشروع، فيها معنى المقاربة ، لأن الشروع في الفعل يلزمه القرب منه، فكل الأفعال فيها مقاربة دلالة أو استلزاما (١٦٧).

غير أن - كاد - التي قدمت لهذا الباب، وليست أم الباب كما في - كان - ، بل اعتبر غيرها أخوات لها من جهة الدلالة على القرب قل القرب أو كثر، كان في بداية الفعل أو وقع القرب، بخلاف - كان التي هي أم بابها ، لما في دلالتها جميع ما في أخواتها، الذي هو لازم وضعها، وهو الكينونة.

كاد : عند أهل المعاني : -

تقدم الفرق والعلاقة بين - كاد - وأخواتها ، وبين - كان - وأخواتها وذكر أهل المعاني لـ - كاد - معان أخر غير المقاربة ظهرت بمعونة السياق، غير أن هذه المعاني قليلة لاختلاف المقاربة في أخواتها .

فالمعنى الأول : وهي الموضوعة له المقاربة، وذلك كما في قوله تعالى (إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) (١٦٨) وقوله تعالى (يكاد البرق يخطف أبصارهم) (١٦٩) فالمقصود هنا قرب وقوع الفعل ولم يقع.

الثاني : ترد ـ كاد ـ بمعنى أراد ، ومثلوا له بقوله تعالى (كذلك كدنا ليوسف) [١٧٠] أي : كذلك أردنا ليوسف ، وذلك لبيان قرب إرادة وقوع الفعل، وأن قرب الإرادة مقترن بقرب الفعل، ولأنه قد جاء عكسه في قوله (جدارا يريد أن ينقض) [١٧١] أي : يكاد ، ونظير هذه الآية قوله تعالى (أكاد أخفيها) [١٧٢] أي : أريد ، ونظيره كذلك قوله تعالى (تكاد السموات يتفطرن منه) [١٧٣].

الثالث : أن تكون ـ كاد ـ زائدة ، وهي التي يذكرها بعضهم بالصلة، ومثلوا لها بقوله تعالى (إذا أخرج يده لم يكد يراها) [١٧٤] يريد : أنه لم يرها أصلا [١٧٥].

فيقال في مثل هذا في ـ كاد ـ الزائدة إن معناها مراد، ولا عمل لها إذ ذاك في اسم ولا خبر فتكون مثل ـ كان ـ إذا زيدت ، يراد معناها ولا عمل لها [١٧٦].

الرابع : قيل : ترد ـ كاد ـ بمعنى : صنع ، ومثلوا له بالآية السابقة (كذلك كدنا ليوسف) بمعنى : صنعنا، روى ذلك عن ابن عباس – رضى الله عنه – [١٧٧].

الخامس : قيل : ترد ـ كاد ـ بمعنى : دبر ، ومنه الآية السابقة، أي دبرنا ليوسف طريقة أخذ أخيه إليه [١٧٨]. ويمكن أن تكون بمعنى علمناه إياه [١٧٩].

السادس: أن ترد ـ كاد ـ تامة، وهي التي تكتفي بمرفوعها مثل ـ كان ـ التامة، و ـ كاد ـ التامة من كود بفتح الواو، ومصدره الكيد كالبيع وهي من ذوات الياء، ومثلوا له بقوله تعالى (فيكيدوا لك كيدا) [١٨٠] وقوله تعالى (إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا) [١٨١].

والتامة هي التي ترد بمعنى ـ مكر ـ والناقصة هي التي تأتي بمعنى المقاربة [١٨٢] ولعل ـ كاد ـ التامة هي التي يضم فيها الكاف : كُدت يكيد كيدا، والتي بكسر الكاف هي الناقصة : كدت أو كاد يكاد.

وأيا ما كان فتلك معاني ـ كاد ـ عند أهل المعاني، وقد كانت معانيها قليلة بالنسبة لمعاني ـ كان ـ التي تقدم ذكر معانيها.

ولعل ذلك راجع إلى مادة : كون وكود، فلام الكلمة في ـ كون ـ أوسع من لام الكلمة في ـ كود ـ وهو حرف الدال.

لذا جاء كثرة استعمال الأولى، وقلة في استعمال الثانية ، إذ الأولى كينونة دالة على أنواع الكينونات التي كل واحد منها فيه جزء منها.

والثانية فيها معنى القرب، وفيها معنى المنع، ومعنى المكر، ولهذا قل أنواع معناها الموضوعة له.

استعمالات ـ كاد ـ في القرآن الكريم :ـ

قد تقرر عند علماء اللغة والمعاني أن كل كلمة موضوعة لمعنى، وقد تستعمل لمعنى آخر غير المعنى الموضوعة له، وهذا المعنى تابع للمعنى الموضوعة له الكلمة، لأن الكلمة من الألفاظ المتواطئة، وهي المتوافقة التي توافقت وتواطئت على معاني متعددة تابعة للمعنى الموضوعة له، والسياق هو الذي يبرز المعنى الآخر، غير أن المعنى الموضوعة له لا يفارقها بحال وإن استعمل في المعنى الآخر، وذلك يدل على سعة الألفاظ العربية معنى ومن جملة هذه الألفاظ ـ كان ـ التي تقدم استعمالاتها، و ـ كاد ـ التي تعمل عملها، غير أن استعمالاتها أقل.

وهذه الاستعمالات في ـ كاد ـ في القرآن الكريم هي :

الأول : ترد ـ كاد ـ بمعنى قرب، وهو المعنى الموضوعة له وهو الأكثر استعمالا في القرآن الكريم ، وذلك في الماضي مثل قوله تعالى (كادوا يكونون عليه لبدا) (١٨٣) وقوله (لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) (١٨٤).

والمعنى في الأول : قربوا يجتمعون عليه – صلى الله عليه وسلم – ويتظاهرون على إطفاء النور الذي جاء به (١٨٥) و (لبدا) من تلبد الشئ على الشئ اجتمع، أو قرب الجن والإنس يكونون عليه مجتمعين لإبطال أمره. أو قرب الجن يتراكمون عليه متزاحمين تعجبا مما رأوا من عبادته – صلى الله عليه وسلم – ومن سماع قراءته (١٨٦).

والمعنى في الثاني : لقد قاربت أن تميل إلى مواقفهم، ولكن تم فضل الله عليك فلم تفعل وهو بمثابة الهم، ولكنه لم يقع، فهو لم يركن لا قليلا ولا كثيرا، لأنه مفهوم من أن (لولا) الامتناعية تقتضي ذلك. قال أبو السعود : لولا تثبيتنا لك لقاربت أن تميل إليهم شيئا يسيرا من الميل اليسير لقوة جدهم وشدة احتيالهم، لكن أدركتك العصمة فمنعتك من أن تقرب أدنى مراتب الركون إليهم، فضلا عن نفس الركون (١٨٧). وهذا الهم من النبي – صلى الله عليه وسلم – ، إنما كانت خطرة مما لا يمكن دفعه، ولذلك قيل: كدت ، وهي تعطي أنه لم يقع ركون، ثم قيل: شيئا قليلا، إذ كانت المقاربة التي تضمنها كدت قليلة خطرة لم تتأكد في النفس، وهذا الهم هو كهم يوسف – عليه السلام – والقول فيهما واحد (١٨٨)، والتعبير بـ كاد ـ للمبالغة في تقليل الكيدودة.

ومثال المضارع منه قوله تعالى (يكاد البرق يخطف أبصارهم)[١٨٩] ومعناه: يقرب البرق أخذ أبصارهم، وقوله تعالى (تكاد السموات يتفطرن منه)[١٩٠]. ومعناه: يقرب تشقق السموات من هول ذلك القول الذي قالوه، وهو اتخاذ الرحمن ولدا.

وهو في كل هذا يدل على قرب وقوع الفعل، والفعل لم يقع، إذ هي للدلالة على قرب وقوع الفعل فحسب، فلم يقع كونهم عليه لبدا، ولم يقع ركونه - صلى الله عليه وسلم - إليهم، ولم يقع خطف أبصارهم، ولم يقع تفطر السموات ، وهو في كل ذلك خبر - كاد - ، ومثال ما تقدمه نفي قوله تعالى (وما كادوا يفعلون)[١٩١] يريد : وما قربوا يفعلون الذبح، وقد وقع منهم غير أن هذا فهم من جهة أخرى من كلام آخر، وهو قوله (فذبحوها) وسيأتي بيانه.

والمقصود أنه نفي لقرب وقوع الفعل، وذلك لتقدم النفي على - كاد - ومثال المضارع قوله تعالى (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا)[١٩٢] يريد : أن هؤلاء لا يقربون فهم حديث القرآن في حقيقة هذه الأمور إذ لو فهموا وتدبروا معانيه لعلموا أن الكل من عند الله تعالى[١٩٣]، وذلك خلقا وإيجادا ، وهو الحسنة والسيئة.

فهو نفي لقرب الفهم فضلا عن قرب فهمهم، وهو أبلغ في الذم، إذ يكاد ينعدم لديهم الفهم.

هذا هو المعنى الموضوعة له - كاد - ماضيا ومضارعا ، وهو غالب استعماله في القرآن الكريم ، في قرب وقوع الفعل، ولم يقع ولم يرد من هذا الفعل كذلك إلا الماضي والمضارع.

الثاني : ترد - كاد - وتستعمل بمعنى : أراد ، لبيان أنه هم ولم يفعل، وذلك كما في قوله تعالى (أكاد أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى)[١٩٤] فكاد تستعمل في مثل هذا بمعنى - أراد - وهو أن يهم بالشئ ولا يفعله[١٩٥]، وهو من معنى قرب وقوع الفعل ولكنه لم يقع، ولذا روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال في معناها: أكاد أخفيها من نفسي، وروى أنها في قراءة ابن مسعود - رضى الله عنه -[١٩٦] وقال ابن الأنباري المعنى : إن الساعة آتية أكاد أخفيها عن نفسي، فكيف أظهرها لكم[١٩٧].

ومثال الماضي منه قوله تعالى (كذلك كدنا ليوسف) ومعناه: أردنا، أو المعنى: علمناه الكيد أو دبرناه أو صنعناه له.

فكان صورة صنع الله في تعليمه يوسف – عليه الصلاة والسلام – أن لا يحكم بحكم الملك ويجري على سنتهم في استبعاد السارق صورة الكيد إذ المقصود ليس ظاهره، بل إيواء أخيه إليه، وهو لا يتم إلا بهذا (١٩٨).

وتفسير ذلك الكيد قوله تعالى بعده (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) إذ هو بيان له ، وقال أبو السعود: المعنى : صنعنا ودبرنا لأجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من درس الصواع وما يتلوه . و(ما كان ليأخذ أخاه) استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه، لا تفسير وبيان له كما قيل (١٩٩). قلت: الأمر هين، إذ لا فرق كبير بين البيان والتعليل.

وقال أبو حيان في معناها : أي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني: علمناه إياه وأوحينا به إليه.

وذكر أن الضحاك والسدي قالا في معناها : كدنا صنعنا.

ثم قال : قال ابن عطية: وأضاف الله تعالى الكيد إلى ضميره لما أخرج القدر الذي أباح ليوسف أخذ أخيه مخرج ما هو في اعتياد الناس كيد (٢٠٠).

وذكر ابن قتيبة أن قوله (كدنا ليوسف) أي : احتلنا له، والكيد: الحيلة، ومنه قوله تعالى (إن كيدكن عظيم) (٢٠١).

وهذا الاستعمال هنا من ـ كاد ـ اليائية، وهي التي ترد بضم الكاف، التي بمعنى: المكر والكيد، غير أنه إذا أسندت إلى ضمير المتكلم انتقلت حركتها بالكسر، كما هو في الآية هنا، وكما في قوله تعالى (إن كدت لتردين) (٢٠٢)، وهي التامة التي تكتفي بمرفوعها ، والتامة بمعنى المكر، والناقصة بمعنى المقاربة (٢٠٣).

ووجه المقاربة فيها، وهو المعنى الموضوعة له، مع هذا المعنى المستعمل هنا، هو قرب وقوع الفعل من الله تعالى، وهو الذي أراده ليوسف – عليه السلام ـ فعلمه ودبره له سبحانه، وباشر يوسف – عليه السلام – العمل على إيقاع الفعل.

وإذا كان ـ كاد ـ استعملت بمعنى ـ أراد ـ فقد استعمل العكس، فقد جاء ـ يريد ـ مستعملة بمعنى ـ يكاد ـ وذلك في قوله (جدارا يريد أن ينقض) (٢٠٤) أي : يكاد.

الثالث : تستعمل ـ كاد ـ بمعنى علم ، وصنع، ودبر، وأوحى، ذكر ذلك المفسرون، وهو ما ذكروه في معنى الآية السابقة (وكذلك كدنا ليوسف).

روى ذلك عن ابن عباس – رضى الله عنهما - ، والسدي والضحاك وغيرهم (٢٠٥).

وهذه المعاني تفهم من - كاد - بمعونة هذا السياق الذي وردت فيه، إذ كل هذه المعاني قد تكون مرادة مع المعنى الموضوعة له - كاد -

إذ قد تقرر قبل أن اللفظ قد يكون موضوعا لمعنى ، ويستعمل في معنى أو معان أخرى، والسياق هو الذي يبرز ذلك المعنى ، مع عدم مفارقة المعنى الموضوع له اللفظ.

وذلك يدل على سعة المعنى الدلالي للفظ، وبيان الحالات والملابسات والأفعال والأسباب والمسببات التي يراد الإشارة إليها، من نظم ذلك التركيب.

الرابع : تستعمل - كاد - زائدة أو صلة، ومثلوا له بقوله تعالى (إذا أخرج يده لم يكد يراها) يريد : لم يرها أصلا، فخرجوا الكلام هنا على النفي المحض (٢٠٦).

قال أبو حيان : واستدلوا على زيادة - كاد - بقوله تعالى (لم يكد يراها) (٢٠٧).

ذكر ذلك في معرض كلامه ونقله عن أهل التفسير زيادة - كاد - في قوله (أكاد أخفيها) فقال : قالت فرقة (أكاد) زائدة لا دخول لها في المعنى، بل الإخبار أن الساعة آتية، وأن الله يخفي وقت إتيانها .

قال : وروى هذا المعنى عن ابن جبير (٢٠٨). وقد قرئ (أكاد أخفيها) بفتح الهمزة من خفاه إذا أظهره ، على أن تكون همزة - أخفيها، للإزالة والسلب ، أي: أزيل خفاءها والمعنى : إنها لتحقق وقوعها وقربها أكاد أظهرها وأقرب أظهارها كما في قوله تعالى (اقتربت الساعة) ، وإن اقتضت الحكمة تأخرها برهة من الزمان (٢٠٩).

وعلى كلا المعنيين فلم يقع خفاء، ولم يقع أظهار إذ - كاد - لقرب إرادة إخفائها أو إظهارها ، وحكمة مجئ النظم بـ - كاد - هو لبيان قرب وقوعها بوجود علاماتها، ولا يمكن لأي لفظ آخر أداء ذلك المعنى، ولذا جاء في الآية الأخرى (فقد جاء أشراطها) أي : علاماتها.

فالقول بزيادتها قول باطل، إذ سوف يصرف هذا المعنى المراد.

وقريب من القول بعدم الزيادة ما ذكره شيخ زاده ، فقد قال في معنى (أكاد أخفيها) : كاد وإن كان موضوعا للمقاربة إلا أنه من الله تعالى للتحقيق والوجوب والمعنى : أنا أخفي وقتها عن الخلق ليكونوا على حذر منها كل وقت ، كما أن (عسى) في قوله تعالى (قل عسى أن يكون قريبا) (٢١٠). للقطع بقربه، أي: هو قريب.

وقوله : للتحقيق ، كما أن عسى للقطع، فلأن - كاد - لقرب حصول الفعل وعسى

للطمع في وقوع الفعل، وكل منهما للاستقبال، و ـ كاد ـ في هذا أكد وأبلغ على شدة قرب الفعل من الوقوع ، إذ المراد قرب وقوعه في الحال، إلا أنه لم يقع بعد، وتقع للاستقبال ، لكن لما كانت ـ عسى ـ للطمع والإشفاق، والطمع يختص بالمستقبل كانت للمستقبل فحسب، واختير له أخف الأبنية، وهو مثال الماضي [٢١١].

وقد يجري أحدهما مجرى الآخر، وقد يشبه أحدهما الآخر في بعض المواضع [٢١٢].

وقال الفراء : إن ـ كاد ـ هنا زائدة ، والمعنى : إذا أخرج يده لم يرها، كما تقول : ما كدت أعرفه [٢١٣].

وقد ذهب كثير من المفسرين إلى عدم زيادة ـ كاد ـ ، كما أن ـ كان ـ لا تزاد فخرجوا ـ كاد ـ في قوله تعالى (لم يكد يراها) على معناها الموضوعة له، والمعنى: لم يقرب من رؤيتها ، وهي أقرب شئ إليه فضلا عن أن يراها [٢١٤]. فهو نفي لقرب وقوع الفعل، ويستلزم منه عدم وقوع الفعل أصلا، وهذا أبلغ من مجرد نفي الفعل، على القول بالزيادة.

وقد قال النحاس: أصح الأقوال في ـ كاد ـ هنا أن المعنى : لم يقارب رؤيتها، فإذا لم يرها رؤية بعيدة ولا قريبة.

وقريب من هذا القول في عدم زيادتها ما ذكره الإمام القرطبي بعد ذكر الأقوال في قوله (لم يكد يراها) قال : وأصح الأقوال في هذا المعنى: لم يقارب رؤيتها، فإذا لم يقارب رؤيتها فلم يرها رؤية بعيدة ولا قريبة [٢١٥].

وهو شرح وبيان لما ذهب إليه النحاس ورجحه من الأقوال التي قيلت في الآية، وهو الموافق لظاهر الآية، وهو الأبلغ في نفي الرؤية مطلقا فضلا عن قرب رؤيتها.

الخامس : تستعمل ـ كاد ـ تامة مثل ـ كان ـ في كونها تكتفي بمرفوعها، وتكون بمعنى : المكر والكيد، وقد مثلوا له بقوله تعالى (فيكيدوا لك كيدا) [٢١٦] المعنى: فيحتالوا لإهلاكك حيلة [٢١٧]، وذلك لأن ـ كاد ـ هنا بمعنى : المكر والاحتيال. والتقدير : إن قصصتها عليهم كادوك [٢١٨].

وهو كقوله تعالى بعد (كذلك كدنا ليوسف) وفرق بين الكيد والكيد والمكر والمكر، إذ قد مكروا هم ابتداء بالاحتيال على الأب والذهاب به وقويل عملهم بما يشبه المكر والكيد، وهو عدل، ومكرهم واحتيالهم هم ظلم وهو معنى قوله تعالى

(ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) [٢١٩]. ونظير هذه الآية قوله تعالى (إنهم يكيدون كيدا، وأكيد كيدا) [٢٢٠].

فالكيد : إخفاء قصد الضر وإظهار خلافه، فكيد الكافرين مستعمل في حقيقته، وأما الكيد المسند إلى ضمير الجلالة فهو مستعمل في الإمهال مع إرادة الانتقام عند وجود ما تقتضيه الحكمة من إنزاله بهم [٢٢١].

كاد في النفي والإثبات : ـ

إن ـ كاد ـ من الأفعال التي يدخل عليها النفي والإثبات، ولما كانت موضوعة لقرب وقوع الفعل ولما يقع وقع الاختلاف بين العلماء في النفي والإثبات بها.

وقد ذكر الإمام الزركشي اختلاف العلماء في ذلك فقال : **وللنحويين فيها أربعة مذاهب:**

أحدها : أن إثباتها إثبات،ونفيها نفي، كغيرها من الأفعال.

الثاني : أنها تفيد الدلالة على وقوع الفعل بعسر، وهو مذهب ابن جني.

الثالث : أن إثباتها نفي ونفيها إثبات، فإذا قيل: (كاد يفعل) فمعناه أنه لم يفعله، بدليل قوله (وإن كادوا ليفتنونك) [٢٢٢] وإذا قيل (لم يكد يفعل) فمعناه أنه فعله، بدليل قوله (وما كادوا يفعلون) [٢٢٣].

الرابع : التفصيل في النفي بين المضارع والماضي ، فنفي المضارع نفي، ونفي الماضي إثبات، بدليل قوله (فذبحوها وما كادوا يفعلون) وقوله (لم يكد يراها) مع أنه لم يرشيئا .

قال: وهذا حكاه ابن أبي الربيع، في شرح الجمل ، وقال : إنه الصحيح ثم رجح القول الأول مستدلا بموضوع الفعل فقال: والمختار هو الأول، وذلك لأن معناها المقاربة ، فمعنى (كاد يفعل) قارب الفعل ومعنى (ما كاد يفعل) لم يقاربه، فخبرها منفي دائما [٢٢٤].

ويؤكد ترجيح الزركشي السمين الحلبي فقال : وخبرها ـ يريد كاد ـ إذا كانت هي مثبتة منفي في المعنى ـ يريد نفي الوقوع ـ لأنها للمقاربة فإذا قلت : كاد زيد يفعل كان معناه : قارب الفعل، إلا أنه لم يفعل ، فإذا نفيت انتفى خبرها بطريق الأولى يريد ـ الوقوع ـ لأنه إذا انتفت مقاربة الفعل انتفى هو من باب أولى.

قال : ولهذا كان قوله (لم يكد يراها) أبلغ من أن لو قيل : لم يرها لأنه لم يقارب الرؤية فكيف بها ؟ (٢٢٥).

ويشرح هذا القياس العقلي الزركشي بقوله : أما إذا كانت منفية فواضح، لأنه إذا انتفت مقاربة الفعل اقتضى عقلا عدم حصوله (٢٢٦).

وقوله تعالى (وما كادوا يفعلون) يقتضي بحسب الوضع نفي مدلول ـ كاد ـ فإن مدلولها المقاربة، ونفي مقاربة الفعل يقتضي عدم وقوعه بالأولى (٢٢٧).

لكن يقال : أني يجتمع ذلك مع وقوع ذبحها بقوله (فذبحوها) فالجواب: إذا كانت الجملة على وجه الاستئناف فيكون نفي مقاربة الفعل كان قبل الذبح حين كرروا السؤال وأظهروا المطال، ثم وقع الذبح بعد ذلك.

قال ابن عاشور : إن ذلك باعتبار وقتين، فيكون بمنزلة كلامين. والتقدير: فذبحوها الآن، وما كادوا يفعلون قبل ذلك.

قال : ولعلهم يجعلون ـ يريد العلماء القائلين بذلك ـ الجمع بين خبرين متنافيين في الصورة قرينة على قصد زمانين (٢٢٨). وقد رجح قبل هذا القول الفخر الرازي (٢٢٩).

ويشرح ابن قيم الجوزية القول الراجح من تلك الأقوال كلها قائلا: والصحيح أنها ـ يريد كاد ـ فعل يقتضي المقاربة، ولها حكم سائر الأفعال، ونفي الخبر لم يستفد من لفظها ووضعها، فإنها لم توضع لنفيه، وإنما استفيد من لوازم معناها، فإنها إذا اقتضت مقاربة الفعل لم يكن واقعا فيكون منفيا باللزوم، وأما إذا استعملت منفية فإن كانت في كلام واحد فهي لنفي المقاربة، كما إذا قلت : لا يكاد البطال يفلح، ولا يكاد البخيل يسود، ولا يكاد الجبان يفرح، ونحو ذلك، وإن كانت في كلامين اقتضت وقوع الفعل بعد أن لم يكن مقاربا، وذلك كما في قوله (فذبحوها وما كادوا يفعلون) . قال : فهذا التحقيق في أمرها (٢٣٠)، وكذلك (لم يكد) فلم يرها ولم يكد.

وقد ذكر إمام المفسرين قبل هذه القاعدة في النفي والإثبات في ـ كاد ـ فقد روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ في قوله تعالى (يكاد البرق يخطف أبصارهم) قال : يلتمع أبصارهم ولما يخطف (٢٣١).

وروى عنه – رضى الله عنهما – في قوله تعالى (وما كادوا يفعلون) قال : كل: كاد، وكادوا ، وما كادوا ، ولو ، في القرآن ، فإنه لا يكون أبدا (٢٣٢)، وفي رواية ، وهو مثل قوله (أكاد أخفيها) (٢٣٣).

فهو يبين في الآية الأولى قرب وقوع الفعل، وهو لم يقع، وفي الثاني التصريح بعدم وقوعه، فهي في الإثبات إثبات لقرب وقوع الفعل، وفي النفي نفي لقرب وقوع الفعل، أما وقوع الفعل فيعلم من كلام آخر أو قرينة أخرى، لا فرق بين ـ كاد ـ الناقصة ، و ـ كاد ـ التامة.

خاتمة

لقد جاء هذا البحث متضمنا كثيرا من النقول لهذين اللفظين ـ كان ـ وكاد، وذلك بسبب تحير واختلاف المفسرين والعلماء في وجوه استعمالات كل منهما، وتوجيه معنى كل استعمال، وإفادة كاد ـ على وجه الخصوص في النفي والإثبات، وعلاقة هذه الاستعمالات بالمعنى الموضوع لكل منهما.

وظهر أن ـ كان ـ أكثر عددا في مواضع آيات القرآن ، من ـ كاد ـ وذلك بسبب المعنى الموضوع له كل منهما، فالأول موضوع للكينونة والثاني موضوع للكيدودة، والكينونة أوسع مع المعاني ، لعدم تقييدها. ولذا كان استعمالات ـ كان ـ أكثر والكيدودة وإن كانت معلومة بالقرب إلا أن القرينة لتحديد القرب غير معلومة، فكان وجوه استعمال ـ كاد ـ أقل.

فكثرة وقلة وجوه استعمال اللفظ تابع لموضوعه ، لذا وجب ضم كل استعمال للفظ إلى معناه الموضوع له، وربط هذا الوجه المستعمل بالمعنى الموضوع، إذ المعنى الموضوع له اللفظ لا ينفك عنه بحال.

وقد تقرر أن اللفظ يكون موضوعا لمعنى ، ويستعمل لوجوه ومعان أخرى، تلك المعاني لمعنى الوضع.

ولذا كانت ـ كان ـ أم الباب، إذ هي كينونة، والكينونة قابلة لكل معاني فروعها، فقد جاءت بمعنى ـ صار ـ وأصبح ـ والاستقبال، وغير ذلك من معاني أخواتها ولم تكن ـ كاد ـ أما لأخواتها من أفعال المقاربة لذا جاء فيها بعض معاني أخواتها.

وجاءت هذه الطريقة في دراسة أدوات المفسر لأمرين :

الأول : التسهيل على من يتعاطى علم التفسير بمعرفة معنى الأداة التي يكثر دورانها في آيات القرآن ، ووجوه استعمالها، وكيفية ربط الاستعمال بالمعنى الموضوع له، مع إمكانية ترجيح معنى على آخر عن طريق السياق والمعنى الموضوع ، لأن وجه الاستعمال لتوسيع دائرة المعاني .

الثاني : الاهتمام بدراسة أدوات المفسر على نحو هذه الطريقة التحليلية المصاحبة للاستقراء لوجوه استعمال اللفظ ، والتدقيق وإظهار سر كمال التركيب الذي أبرز هذا الاستعمال ، فإن وراءه جمال النظم القرآني في الإخبار والإنشاء ، وتمنح بذلك

الباحث سعة في أفق المعاني وإحساسا في درك المباني، إذ القرآن العظيم واسع في معناه، متقن رصين في مبناه (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)[٢٣٤].

وهذا يوجب معرفة وجوه دلالة ألفاظ القرآن.

والله أسأل أن يجعله عملا نافعا خالصا له تعالى، ونعوذ به من الزلل في القول والعمل، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ). تهذيب وترتيب : محمد بن عمر بازمول، دار الهجرة - الرياض - ط أولى ١٩٩٢م.

٢- أساس البلاغة : لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٣م.

٣- الأشباه والنظائر في النحو : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) - دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

٤- البحر المحيط : لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الشهير بأبي حيان (ت٧٥٤هـ) ، مكتبة ومطابع النصر - الرياض.

٥- البرهان في علوم القرآن : للإمام محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.

٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ،لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت٨١٧هـ) تحقيق : محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر - ط ثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٧- البيان في غريب إعراب القرآن : لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الأنباري (ت٥٧٧هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر - ١٩٨٠م.

٨- التحرير والتنوير : للأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس.

٩- تفسير ابن أبي حاتم، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ) حققه : أحمد عبد الله العماري، دار طيبة - الرياض - ط أولى ١٤٠٨هـ.

١٠- تفسير غريب القرآن : لأبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٧٨م.

١١- تفسير أبي السعود، المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، للإمام أبي السعود محمد بن محمد العماري (ت٩٥١هـ) دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٢ـ تفسير القاضي البيضاوي (ت٦٨٥هـ) مع حاشية شيخ زادة، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط أولى ١٩٩٩م.
١٣ـ تفسير الرازي ، المسمى أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل لمحمد بن أبي بكر الرازي (ت٦٩١هـ) دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ ط. أولى ١٩٩٠م.
١٤ـ تهذيب اللغة : لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) تحقيق : علي حسن هلالي ، ومحمد علي النجار، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة.
١٥ـ تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي ، دار الفكر ـ بيروت ـ
١٦ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن : لأبي جعفر بن جرير الطبري (ت٥٣١هـ) ـ مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ط ثالثة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.
١٧ـ الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) دار الحديث ـ القاهرة ط أولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
١٨ـ حروف المعاني للزجاجي : لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت٣٤٠هـ) مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط ثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
١٩ـ حاشية الجمل : المسمى بالفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية لسليمان بن عمر العجلي الشهير بالجمل (ت١٢٠٤هـ) دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت ـ
٢٠ـ حاشية الشهاب : المسماة : عناية القاضي وكفاية الراضي، على تفسير البيضاوي ، دار صادر ـ بيروت ـ .
٢١ـ حاشية شيخ زادة : محيى الدين محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي (ت٩٥١هـ) على تفسير البيضاوي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط أولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
٢٢ـ حاشية على شرح الفاكهي لقطر الندى ، للشيخ يس بن زين الدين الحمصي الشافعي (ت١٠٦١هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ١٩٧١م.
٢٣ـ دراسات لأسلوب القرآن الكريم : للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث ـ القاهرة.

٢٤ـ درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز لأبي عبد الله بن محمد بن عبد الله ـ المعروف بالخطيب الإسكافي ، ط ثانية دار الآفاق ـ بيروت ١٩٧٧م.

٢٥ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) ضبط وتصحيح بإشراف دار الفكر ـ بيروت ـ ط أولى ١٤٠٢هـ.

٢٦ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) تحقيق : أحمد محمد الخراط، دار القلم ـ دمشق ـ ط أولى ١٩٩١م.

٢٧ـ دلائل الإعجاز : للإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت٤٧١هـ) علق عليه الأستاذ محمود شاكر ، مطبعة المدني الخانجي القاهرة ـ ط ثانية ١٩٨٩م.

٢٨ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : لأبي الفضل الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ) دار الفكر ـ بيروت ـ ١٩٨٣م.

٢٩ـ زاد المسير في علم التفسير : للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٦هـ) المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى.

٣٠ـ سر صناعة الإعراب : لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) تحقيق: حسن هنداوي ، دار العلم ـ دمشق ـ ط أولى ١٩٨٥م.

٣١ـ شرح التصريح على التوضيح : للشيخ خالد بن عبد الله الأزهري ، على ألفية ابن مالك ، دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت.

٣٢ـ شرح المفصل : لموفق الدين يعيش بن يعيش النحوي (ت٦٤٢هـ) عالم الكتب ـ بيروت .

٣٣ـ شرح جمل الزجاجي : للإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) عالم الكتب ـ بيروت ـ ط ثانية ١٩٨٦م.

٣٤ـ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ : لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود الحلبي المعروف بالسمين (ت٧٥٦هـ) دار السيد للنشر ـ استنبول ـ ط أولى ١٩٨٧م.

٣٥ـ قاموس القرآن ، أو إصلاح الوجوه والنظائر : للمفسر الجامع الحسين بن محمد الدامغاني ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ، ط رابعة ١٩٨٣م.

٣٦- القاموس المحيط : للشيخ مجد الدين بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي، دار الفكر بيروت.
٣٧- كتاب المقتصد في شرح الإيضاح : لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ) تحقيق : كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر- العراق- ١٩٨٢م.
٣٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : لأبي القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ) مع حاشية الاسكندري ، دار المعرفة - بيروت.
٣٩- لسان العرب : لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ، ط مصورة عن طبعة بولاق- الدار المصرية للتأليف والنشر.
٤٠- مجاز القرآن : لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت٢١٠هـ) تعليق فواد سزكين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ثانية ١٩٨١م.
٤١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ) تحقيق المجلس العلمي بفاس، مطابع فضالة المحمدية - المغرب ١٩٧٥م.
٤٢- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي (ت٦٦٦هـ) الناشر دار الكتب العربي- بيروت- ط أولى ١٩٦٧م.
٤٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت٧٧٠هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر.
٤٤- معجم مقاييس اللغة : لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت.
٤٥- معاني القرآن وإعرابه : لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت٣١١هـ) عالم الكتب- بيروت- ط أولى ١٩٨٨م.
٤٦- معترك الأقران في إعجاز القرآن : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت.
٤٧- مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) دار الكتب العلمية ط ثانية- بيروت.

٤٨ـ المفردات في غريب القرآن : لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) طبع ونشر دار المعرفة ـ بيروت .

٤٩ـ نتائج الفكر في النحو : لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت٥٨١هـ) تحقيق : محمد إبراهيم البنا، نشر دار الاعتصام ـ مصر.

٥٠ـ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت٥٩٧هـ) مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط أولى ١٩٨٤م.

٥١ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ الهند) ١٩٧٠م .

٥٢ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية ، لجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) نشر مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ، ط أولى ١٣٢٧هـ .

الهوامش :

(١) الألفاظ المتواطئة هي : دلالة اللفظ على المعنى، ثم يعرض لهذا المعنى كثرة، فيدل اللفظ على تلك المعاني بتواطؤ ، وهو التوافق. انظر مقدمة جامع التفسير للراغب، ٢٩، ٣٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي م٤ ص ١٢١ فما بعد.

(٣) مختار الصحاح /٥٨٤.

(٤) سورة يس / ٦٧.

(٥) المصباح المنير ج٢/ ٢٠٧.

(٦) المفردات للراغب /٤٤٥.

(٧) القاموس المحيط للفيروز آبادي ج٤/٢٦٤.

(٨) بصائر ذوي التمييز ج٤ ص ٣٩٢.

(٩) لسان العرب لابن منظور ج١٧ ص ٢٤٧ ، ٢٤٨.

(١٠) تهذيب اللغة لابن منصور الأزهري خاص ٣٧٥ ، ٣٧٦.

(١١) تاج العروس للزبيدي م٩ ص ٣٢٤.

(١٢) أساس البلاغة للزمخشري ج٢ /٣٣٣.

(١٣) شرح التصحيح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري ج١/١٨٣، ١٨٤.

(١٤) شرح جمل الزجاجي، لجمال الدين ابن هشام الأنصاري ١٣٧/٧.

(١٥) حاشية الصبان على شرح الأشموني م١ ج١ ص ٢٣٧.

(١٦) حاشية الصبان م١ ج١ ص ٢٦٨.

(١٧) شرح المفصل لابن يعيش م٢ ج٧ ص٨٩.

(١٨) نفس المصدر السابق م٢/ ج٧ ص٨٩، ٩٠ بشئ يسير من التصرف.

(١٩) كتاب المقتصد في شرح الإيضاح للجرجاني /١ / ٣٩٨.

(٢٠) نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم السهيلي /٢٤١.

(٢١) سورة البقرة /٩٤.

(٢٢) نتائج الفكر للسهيلي /١٣١.

(٢٣) نفس المصدر / ٢٤٥.

(٢٤) الأشباه والنظائر في النحو للإمام السيوطي ج٢/٥٦.

(٢٥) حاشية على شرح الفاكهي لقطر الندى، لزين الدين الحمصي ج٢/٦، ٧.

(٣٦) نفس المصدر بتجوز ج٢/٧.

(٣٧) نفس المصدر ج٢ /١٦.

(٣٨) سورة الإسراء / ٦٧

(٣٩) سورة الإسراء / ٢٧

(٤٠) همع الهوامع للسيوطي ج١/١١١.

(٤١) سورة آل عمران / ٧٩.

(٤٢) سورة الأحزاب /٣٦.

(٤٣) سورة النور /١٦.

(٤٤) سورة النساء / ١٧.

(٤٥) سورة مريم /٢٩.

(٤٦) سورة الأحزاب /٢٧.

(٤٧) سورة مريم /٥٤.

(٤٨) سورة البقرة /٢٤.

(٤٩) سورة النبأ /١٩.

(٥٠) سورة المعارج /٩.

(٥١) الوجوه والنظائر للدامغاني /٤١٠، ٤١١.

(٥٢) الكهف : ٧٩.

(٥٣) سورة مريم /٥٤، وانظر نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي /٥١٧، ٥١٨.

(٥٤) سورة البقرة /٢٨٠.

(٥٥) سر صناعة الإعراب لابن جني /١/١٢٥.

(٥٦) سورة الأحزاب : ٥.

(٥٧) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، للسمين الحلبي : ٥٠٥.

(٥٨) سورة التوبة : ٦٩.

(٥٩) سورة الأحزاب : ٥.

(٦٠) سورة الأنبياء : ٨١.

(٦١) سورة النمل : ٤٨.

(٦٢) سورة آل عمران : ١١٠.

(٥٣) سورة النساء : ١٠٣.

(٥٤) سورة الإنسان : ٧.

(٥٥) سورة البقرة : ٢٨٢.

(٥٦) سورة النساء : ٤٠.

(٥٧) سورة الشعراء: ١١٢، وانظر معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي م٢/١٨٩، ١٩٠.

(٥٨) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي / ٦٧١.

(٥٩) سورة النساء : ١١.

(٦٠) حاشية الجمل م١ / ٣٦٣.

(٦١) معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج ج٢/ ٢٥.

(٦٢) الإتقان للسيوطي / ٦٧٠.

(٦٣) سورة النمل / ٦٠.

(٦٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي م٤ / ٣١١.

(٦٥) سورة الواقعة / ٦٤.

(٦٦) معترك الأقران للسيوطي م٢ ص ١٩٠.

(٦٧) سورة الإسراء / ٢٧.

(٦٨) البرهان للزركشي م٤ / ١٢١ ، ١٢٢.

(٦٩) سورة الأحزاب / ٥٠.

(٧٠) سورة آل عمران / ١١٠.

(٧١) البرهان للإمام الزركشي م٤/١٢٢.

(٧٢) سورة آل عمران /١١٠.

(٧٣) سورة النمل / ٤٨.

(٧٤) الأشباه والنظائر في النحو للإمام السيوطي م١ ج٢ ص ٥٦.

(٧٥) انظر الوجوه والنظائر للدامغاني / ٤١٠.

(٧٦) سورة النمل / ٤٨.

(٧٧) نتائج الفكر في النحو للسهيلي / ٣٤٥.

(٧٨) سورة البقرة / ٩٤.

(٧٩) نتائج الفكر للسيهيلي / ١٣١.

(٨٠) المقتضب للمبرد ٣٣/٣، ونتائج الفكر / ٤٥٤.

(٨١) سورة الأحزاب /٥.

(٨٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج٤ /١٢٣.

(٨٣) سورة النساء / ١٧.

(٨٤) سورة الأحزاب / ٢٥.

(٨٥) سورة الأنبياء / ٧٩.

(٨٦) سورة القصص / ٥٨.

(٨٧) سورة الإسراء / ١١.

(٨٨) سورة الأحزاب / ٧٢.

(٨٩) سورة المعارج / ٢١.

(٩٠) سورة الأنبياء/٩٠، وانظر البرهان في علوم القرآن للزركشي م٤ ص ١٢٣، ١٢٤.

(٩١) سورة النمل / ٦٠.

(٩٢) حاشية الجمل م٣ ص ٣٢٢.

(٩٣) سورة آل عمران / ٧٩.

(٩٤) سورة آل عمران / ١٤٥.

(٩٥) سورة النور/١٦، وانظر البرهان للزركشي م٤ ص٣١١.

(٩٦) سورة آل عمران / ٧٩.

(٩٧) سورة الأحزاب/ ٣٦.

(٩٨) حاشية الشهاب ج٧ /١٧٢.

(٩٩) سورة النور/ ١٦.

(١٠٠) حاشية الشهاب / ج٦/ ٣٦٥.

(١٠١) روح المعاني للألوسي م١ ج١ ص ٢٣١.

(١٠٢) الدر المصون للسمين ج١ ص ٢٧٨، وانظر البحر المحيط لأبي حيان ج ١ ص ١٥٤.

(١٠٣) سورة التوبة /٦٧، وانظر: جمع البيان للإمام الطبري م ١ ج١ ص ٢٢٨. وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج١ ص ١١٤.

(١٠٤) سورة هود / ٤٣.

(١٠٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج١ ص ٤٣٦.

(١٠٦) سورة النبأ / ١٩.

(١٠٧)سورة المعارج /٩.

(١٠٨)البحر المحيط لأبي حيان ج٨ ص ٢٣٤.

(١٠٩)نظم الدرر للإمام البقاعي ج٨ ص٣٠٠.

(١١٠)سورة مريم / ٢٩.

(١١١) مجاز القرآن لأبي عبيد ج٢ ص ٩.

(١١٢) سورة النساء / ١٧.

(١١٣) تفسير البيضاوي ج٦، ١٥٥، من حاشية الشهاب

(١١٤) حاشية الشهاب ج١٥٥/٦.

(١١٥) نفس المصدر السابق ج١٥٥/٦.

(١١٦) الكشاف ـ للإمام الزمخشري ج ٢، ص ٥٠٨.

(١١٧) بصائر ذوي التمييز ج٤ ص ١٩٤.

(١١٨) سورة الشعراء / ١١٢.

(١١٩) البرهان في علوم القرآن للزركشي م٤ ص٣١١.

(١٢٠)سورة آل عمران /١١٠.

(١٢١) سورة الكهف / ٥٤.

(١٢٢) روح المعاني ـ للألوسي م٢ ج٤ ص٣٧.

(١٢٣) الدر المصون للسمين ج٢ ص ٣٤٩.

(١٢٤) زاد المسير لابن القيم الجوزية م١ ص ٤٣٩.

(١٢٥) حاشية الشهاب ج٢ ص ٥٥.

(١٢٦) حاشية الجمل م١ ص ٢٠٢.

(١٢٧) سورة النساء / ١٠٣.

(١٢٨) روح المعاني. للألوسي م٢ ج٢ ص ١٣٨، وانظر تفسير الرازي المسمى أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب أي التنزيل ، لمحمد بن أبي بكر الرازي صاحب الصحاح ص ٩٧.

(١٢٩) حاشية شيخ زادة ج٢ ص ٤٠٢.

(١٣٠)سورة الإنسان /٧.

(١٣١) ذكره صاحب القاموس المحيط ج٤ /٢٦٤.

(١٣٢) سورة المعارج /٤.

(١٣٣) حاشية الجمل ج٤/ ٤٠٥.

(١٣٤) الحديث في الدر المنثـــور للإمام السيوطي م٨ ص ٢٨٠، قال : خرجه أحمد وأبو يعلي وابـن جرير وغيرهم.

(١٣٥) تاج العروس للزبيدي م٩ ص ٣٢٥.

(١٣٦) نتائج الفكر في النحو للسهيلي / ٦٥.

(١٣٧) البحر المحيط لأبي حيان ج١ ص ٣٤٠.

(١٣٨) الدر المصون للسمين ج٢/ ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥.

(١٣٩) تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٦٨.

(١٤٠) سورة النساء / ٢٩.

(١٤١) انظر التصريح على التوضيح م ص١٩١.

(١٤٢) تفسير أبي السعود م١ ج٢ ص١٧٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٢/٤٤

(١٤٣) نفس المصدر م١ ج٢ ١٧٧.

(١٤٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٢/ ٥٣.

(١٤٥) نتائج الفكر في النحو للسيهيلي /٦٥.

(١٤٦) مختار الصحاح / ٥٨٢.

(١٤٧) لسان العرب لابن منظور م٣ ص ٣٨٢، ٣٨٣.

(١٤٨) سورة البقرة / ٧١. وانظر مقاييس اللغة لابن فارس م٥ ص ١٤٥.

(١٤٩) سورة الأعراف / ١٥٠.

(١٥٠) تهذيب اللغة لأبي منصور ج١٠ ص ٣٢٦.

(١٥١) المفردات للراغب / ٤٤٣.

(١٥٢) أساس البلاغة . للزمخشري ج٢ / ٣٢٥.

(١٥٣) القاموس المحيط. للفيروز أبادي ج١ ص ٤٣٢.

(١٥٤) سورة يوسف / ٥.

(١٥٥) سورة النور / ٤٣.

(١٥٦) شرح المفصل لابن يعيش م٢ ج٧ ص ١١٩.

(١٥٧) شرح جمل الزجاجي لابن هشام الأنصاري / ٢٨٢.

(١٥٨) كتاب المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني / ٣٦٠، ٣٦١.

(١٥٩) شرح المفصل لابن يعيش م٨ ج٧ ص ١١٩.

(١٦٠) شرح المفصل لابن يعيش م٢ ج٧ ص ١٢٠.

(١٦١) حاشية الصبان م١ ج١ ص ٢٦٨.

(١٦٢) سورة البقرة / ٢٠.

(١٦٣) الدر المصون للسمين الحلبي ج١/ ١٧٦.

(١٦٤) شرح جمل الزجاجي . لابن هشام /٢٨٢.

(١٦٥) شرح المفصل لابن يعيش م٢ ج٧ ص ١٢١.

(١٦٦) الأشباه والنظائر للسيوطي م١ ج٢ ص ٢٢٩.

(١٦٧) حاشية الصبان بتصرف م١ ج١ ص ٢٦٨، وانظر تفسير أبي السعود ج١ ص٥٤.

(١٦٨) سورة الأعراف / ١٥٠.

(١٦٩) سورة البقرة / ٢٠.

(١٧٠)سورة يوسف / ٨٦، وانظر البرهان للزركشي م٤ ص١٣٩..

(١٧١) سورة الكهف /٨٧، وانظر البرهان للزركشي م٤ ص ١٣٩.

(١٧٢) سورة طه / ١٥٠، وانظر حاشية الشهاب م٦ ص ١٩٤.

(١٧٣) البحر المحيط ج٦/ ٢١٨.

(١٧٤) سورة النور /٤٠.

(١٧٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي م٤ ص ١٣٨.

(١٧٦)دراسات لأسلوب القرآن الكريم للأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة، القسم الثالث ج١/٤٤٠.

(١٧٧) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي م٥ ج٩ ص ٢٤٠.

(١٧٨) نفس المصدر م٥ ج٩ ص ٢٤٠.

(١٧٩) الدر المصون ج٦ / ٥٣٣.

(١٨٠) سورة يوسف / ٥.

(١٨١) سورة الطارق / ١٥.

(١٨٢) الدر المصون للسمين ج١ / ١٧٨، وانظر حاشية الجمل م١ / ٢٤.

(١٨٣) سورة الجن / ١٩.

(١٨٤) سورة الإسراء / ٧٤.

(١٨٥) [1] جامع البيان للطبري م ج ص

(١٨٦) حاشية شيخ زادة ج٨/ ٣٦٧.

(١٨٧) الجامع للقرطبي م٥ ج١٠ ص ٢٠٦، وانظر الكشاف ج٢/٤٦٠،وتفسير أبي السعود ج ٥ ص ١٨٨.

(١٨٨) المحرر الوجيز لابن عطية ج١ ص ٣٢٩.

(١٨٩) سورة البقرة /٢٠.

(١٩٠) سورة مريم /٩٠.

(١٩١) سورة البقرة /٧١.

(١٩٢) سورة النساء/ ٧٨.

(١٩٣) حاشية شيخ زادة ج٣/٣٦٧.

(١٩٤) سورة طه /١٥.

(١٩٥) حروف المعاني للزجاج /٦٧، وانظر حاشية شيخ زادة على البيضاوي ج٥ ص٦٠٥.

(١٩٦) الدر المنثور للسيوطي م٥ ص٥٦٣، والدر المصون للسمين ج٨/٢٠.

(١٩٧) البين في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري ج٢/١٣٩.

(١٩٨) حاشية الشهاب ج٥ ص١٩٧.

(١٩٩) تفسير أبي السعود ج٤/ ٢٩٦.

(٢٠٠) البحر المحيط لأبي حيان ج٥ ص ٣٣٢، وانظر الدر المصون للسمين ج٦ ص ٥٣٣.

(٢٠١) سورة يوسف /٢٨. ، وانظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة /٢٢٠.

(٢٠٢) سورة الصافات/

(٢٠٣) حاشية الجمل م١ ص ٢٤.

(٢٠٤) سورة الكهف / ٧٧، وانظر معترك الأقران للسيوطي م٢ ص ١٨٨.

(٢٠٥) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي م٥ ج٩ ص ٢٤٠، وجامع الطبر ج١٢ ص١١، وانظر تفسير سفيان الثوري رواية أبي جعفر ١٩٣.

(٢٠٦) البرهان في علوم القرآن للزركشي م٤ ص ١٢٨.

(٢٠٧) البحر المحيط ج٦/٦٣٢، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي م٦ ج١٢ ص ٢٨٥.

(٢٠٨) نفس المصدر ج٦/٦٣٢، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي م٦ ج١١ ص١٩٣.

(٢٠٩) حاشية شيخ زادة ج٥ ص٦٠٥، وانظر الدر المصون للسمين ج٨ ص٢١.

(٢١٠) سورة الإسراء / ٥١.

(٢١١) شرح المفصل لابن يعيش م٢ ج١ ص١٢٠.

(٢١٢) نفس المصدر م٢ ج١ ص١٢٢.

(٢١٣) معاني القرآن للفراء/٢ص٢٥٥

(٢١٤) روح المعاني للألوسي م٦ ج١٨ ص ١٨٣، وانظر نظم الدرر للبقاعي ج٥ ص٢٧٠.

(٢١٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي م٦ ج١٢ ص ٢٨٥.

(٢١٦) سورة يونس /٥.

(٢١٧) حاشية شيخ زادة ج٥ ص٧.

(٢١٨) الكشاف م٢ ص ٣٠٢.

(٢١٩) سورة الأنفال /٣٠.

(٢٢٠) سورة الطارق / ١٥، ١٦.

(٢٢١) التحرير والتنوير لابن عاشور ج١٥ ص٢٦.

(٢٢٢) سورة الإسراء /٧٣.

(٢٢٣) سورة البقرة /٧١.

(٢٢٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي م٤ ص ١٣٦.

(٢٢٥) الدر المصون للسمين ج١ ص ١٧٨.

(٢٢٦) البرهان في علوم القرآن للزركشي م٤ ص ١٣٦.

(٢٢٧) التحرير والتنوير لابن عاشور م١ ص٥٥٥.

(٢٢٨) التحرير والتنوير بإيجاز م١ ص٥٥٦، ٥٥٧.

(٢٢٩) التفسير الكبير م١٢ ج٢٤ ص٩.

(٢٣٠) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ،لابن قيم الجوزية /١١، ١٢.

(٢٣١) تفسير ابن أبي حاتم ج١ ص٧٢ رقم ٢٠٥.

(٢٣٢) نفس المصدر ج١ ص ٢٣٧ رقم ٧٤٧.

(٢٣٣) جامع البيان للطبري. م١ ج١ ص ٢٥٤

(٢٣٤) سورة هود / ١